لغز الزجاجة الصفراء



محمود سالم

لغز الزجاجة الصفراء

تأليف
محمود سالم



لغز الزجاجة الصفراء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٠١٧ ٣

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

زجاجة تلمع في عين الشمس

كان يومًا نموذجيًّا من أيام الصيف ... وكان المغامرون الخمسة و«زنجر» أيضًا يَستمتعون بمياه البحر في «أبو قير» ... وقد ازدحم الشاطئ والمياه بالمستحمين في منطقة المعسكر ... وهي من أحب الأماكن إلى قلوب المغامرين ... لما تتميَّز به من صفاء المياه ... ووفرة الرمال الصفراء ... والتلال والروابي الخُضر تمتد بعيدًا حتى الأفق ...

وأخذت كرة حمراء تقفز فوق المياه يُطاردها المغامرون ... «محب» و«تختخ» معًا ... و«عاطف» و«نوسة» و«لوزة» معًا ... وكان على «زنجر» عندما تصل الكرة إلى الشاطئ أن يُعيدَها إلى البحر ...

وأمضى المغامرون ساعتين في مباراةٍ مُثيرة ... تخلَّلتها بعض دقائق للراحة عندما ظهرت السيدة «كريمة» قريبة «عاطف» والتي ينزلون ضيوفًا عندها ... ظهرت على الشاطئ تنظر إلى المياه بحثًا عنهم ... فقد حان موعد الغداء ...

ولاحظ «عاطف» حضور السيدة «كريمة» فقال: لقد ظهرت الحكومة ... وعلينا أن نَهرُب.

تختخ: لقد جاءت في موعدها ... فأنا في غاية الجوع.

عاطف: إنك في غاية الجوع دائمًا ... والحمد لله، فلو كان والدك يَمتلك مطعمًا لأفلس منذ زمن بعيد.

تختخ: إنَّ الساعة بالتأكيد قد تجاوزت الثانية ... وأغلب المستحمين قد غادَرُوا البلاج.

وأخذت السيدة العجوز تُشير بيدها ... فرفع لها «تختخ» ذراعه معلنًا أنهم سيخرجون فورًا ... وبدأ يعوم في اتجاه الشاطئ عندما قالت «لوزة»: انظر يا «تختخ» إنني أرى شيئًا عائمًا يلمع في الشمس.

تختخ: أين؟

أشارت «لوزة» في اتجاه الغرب وقالت: هذا هو.

وأخذ «تختخ» ينظر ولكنه لم ير شيئًا، فقال: هيا بنا ... ربما كانت سمكة ميتة أو قطعة خشب بها صفيح أو شيء من هذا القبيل.

وبدأ «تختخ» يخرج ... ولكن «لوزة» الصغيرة أخذت تتَّجه ناحية الغرب وصاحت «نوسة» بها: إلى أين أنتِ ذاهبة؟

ردَّت «لوزة»: سأرى هذا الشيء اللامع البعيد.

محب: دعكِ من هذا الآن يا «لوزة» ... فإن السيدة «كريمة» في انتظارنا.

لوزة: لن أخرج حتى أعرف ما هذا.

ومضت «لوزة» ... تضرب المياه بذراعَيها متجهة إلى الشيء الذي رأته ولم يره بقية المغامرين ... ولاحظ «محب» أنها تجاوزت المياه الضحلة، وأخذت تعوم في المياه العميقة، فتوقف، وقال «تختخ»: إنها وصلت إلى المياه السوداء ... وأخشى أن تتعب بعد هذه المباراة التي لعبناها بالكرة.

حوَّل «تختخ» وجهه من الشاطئ إلى داخل البحر ... وأخذ ينظر، ولاحظ على الفور أن «لوزة» تتجه بسرعة إلى منطقة المياه السوداء خارج الصخور حيث البحر عميق، والتيَّارات قويَّة ... فأخذ نفسًا عميقًا ثم انطلق يعوم في اتجاه «لوزة» وهو يُنادي عليها ... وتبعه «محب» ... بينما توقف «عاطف» و«نوسة» وأخذا يَنظُران وقد أحسَّا ببعض القلق.

كانت «لوزة» تلبس «مايوه» ... أبيض اللون ... بدا واضحًا فوق الأمواج العالية.

وزاد «محب» و«تختخ» من سرعتهما، وأخذا يُناديان ... ولكن صوت الأمواج كان يُغطِّي على ندائهما ... وكان «محب» أسرع عومًا، فتقدم «تختخ» ببضعة أمتار ... واقترب من «لوزة» التي بدأت تَشعُر بالتعب ... وتُحسُّ أن ذراعَيها لا تُطاوعانها على الاستمرار في السباحة بعد أن أصبحت قريبة من الشيء اللامع الذي عرفت عندما اقتربت منه أنه زجاجة ...

كانت بين أن تعود سريعًا إلى الشاطئ قبل أن تَعجز عن السباحة ... وبين أن تضرب بضع ضربات أخرى وتمسك بالزجاجة العائمة ... وكالعادة تغلَّبت روح المغامرة في نفس «لوزة» وقررت أن تستمر ... وأخذت تضرب المياه بقوة، ولكن بعد بضع ضربات أحسَّت أن قواها تخور ... وأنها لن تستطيع الاستمرار ... وتوقفت مكانها واستلقت على ظهرها لترتاح ... ووصل «محب».

قال «محب» لاهثًا: ما هذا يا «لوزة»؟ ... إنكِ ابتعدتِ كثيرًا عنا.

ردَّت «لوزة» بأنفاسٍ متسارعةٍ: أريد الوصول إلى هذه الزجاجة!

محب: لماذا؟

لوزة: لا أدري ... إنها رغبة لا أملك السيطرة عليها.

ومدَّ «محب» ذراعه «للوزة» تَستند عليها ... وفي هذه اللحظة وصل «تختخ» وشاهد الزجاجة تَلمع في الشمس، فيُثير انعكاس الأشعة عليها ما يشبه الألم في العين ... وقال مُشيرًا إلى الزجاجة: هل هذا هو الشيء الذي تُريدين الوصول إليه؟

ردَّت «لوزة»: نعم، وأرجوكَ أن تُحضرَها.

كان حجم «تختخ» الهائل يخدمه في السباحة ... ولم يكن قد شعر بالتعب، فضرب بذراعَيه في المياه وتقدم من الزجاجة التي كانت التيَّارات تَحملُها مُبتعدة ... وأحس بنفس العناء الذي أحسَّت به «لوزة» ... أن يحصل على الزجاجة ... وبدأت الزجاجة تَبتعد وهو خلفها حتى أصبحت على بُعد متر واحد منه ... ولاحظ أنها بدأت تغوص في المياه ... ودُهِشَ ولكن بضربة واحدة أخرى أصبحت في متناول يده، فمدَّ ذراعه وأمسك بها.

كانت زجاجة متوسطة الحجم ... صفراء اللون مسدودة بقطعة من القماش ... ودار «تختخ» وهو يمسك بها عائدًا إلى الشاطئ، وكان «محب» و«لوزة» قد سبقاه فأخذ يُبدي مهارته في العوم، وهو يمرق فوق المياه كالدرفيل الأبيض حتى اقترب منهما سريعًا وصاح: ها هي يا «لوزة»!

صاحت «لوزة» بفرح حقيقي: أشكرك ...

ومدَّت يدها فناولها «تختخ» الزجاجة ... وصعد الجميع إلى الشاطئ وسمعوا السيدة «كريمة» وهي تصرخ: ماذا حدث؟ لماذا ذهبتُم إلى داخل المياه بهذا الشكل؟ إذا تكرر هذا منكم مرة أخرى، فسوف أُعيدكم فورًا إلى القاهرة ... ولن تروا الإسكندرية مرةً أخرى.

قال «عاطف» مُعتذرًا في لُطف: إنكِ لستِ قاسية إلى هذا الحد يا عمتي.

صاحت العمة: اسكت أنت ... إنني أُحدِّث هذه الطِّفلة الشقية.

ردت «لوزة» وهي ترفع الزجاجة إلى فوق: ولكن يا عمَّتي لقد حصلنا على هذه الزجاجة.

قالت «العمة» في ضيق: وما قيمة هذه الزجاجة؟! إنها لا تُساوي بضعة قروش، وكدتِ تغرقين وأنتِ تَسعين خلفها.

لوزة: كيف أغرق ومعي هذان السبَّاحان الماهران.

قالت «العمة»: هيا ... لا وقت نُضيعه أكثر من هذا، وإلا أكلتم السمك باردًا، والسمك البارد هو أسوأ أكل في العالم.

قال «عاطف»: هذه هي المشكلة إذن يا عمتي … مشكلة السمك.

ردَّت «العمة»: اسكت أنت.

عاطف: حاضر … ولكن أُفضِّل السمك باردًا.

العمة: ستأكل عيشًا وجُبنًا فقط جزاءً لك على هذا الكلام.

عاطف: جُبنًا ساخنًا!

وضحك الجميع، ومشوا في الطريق إلى فيلا السيدة «كريمة» التي تقع في التقسيم الجديد بجوار الكَنيسة مباشرةً.

كانت «لوزة» تُمسك بالزجاجة في يدها، وهي تسير سعيدة راضية؛ فقد حقَّقت هدفها … وحصلت على الزجاجة العائمة.

وعندما اقتربوا من المنزل رفعت «لوزة» الزجاجة لأول مرة ونظرت إليها ولاحظت أنها تكاد تمتلئ بالماء فقالت: كانت ستَغرق.

قال «عاطف» يا لَلكارثة … لو غرقت لنشرَتِ الصُّحف صورتها قائلة: غرق زجاجة صفراء في الإسكندرية!

أعادت «لوزة» النظر إلى الزجاجة … ولاحظت أن شيئًا أبيض يعوم في المياه … وأخذت تُدقِّق النظر إليه … إنه شيءٌ كالورقة يعوم داخل الزجاجة …

وصعدوا جميعًا إلى الفيلا وانهمكوا في تنظيف أجسامهم … واستبدال ثيابهم وانهمكت السيدة «كريمة» والشغَّالة «توحيدة» في إعداد الطعام … وسرعان ما تحلَّقُوا حول المائدة ورائحة السمك المشوي اللذيذ تملأ خياشيمهم … وأخذت الأيدي تهوي إلى الأطباق رائحة غادية … والحديث لا ينقطع عن مُتعة العوم … ومطاردة الزجاجة الصفراء.

وقالت «لوزة»: لقد لاحظت وجود شيءٍ أبيض يعوم داخل الزجاجة … إنه يُشبه سيجارة، أو ورقة مبرومة.

نوسة: ربما كانت رسالة من البحر … كما كان يَحدُث في الروايات القديمة قبل اختراع اللاسلكي، فعندما كانت سفينة تُوشِك على الغرق، يقوم الرُّبَّان بإعداد رسالة عن ظروف غرق السفينة، وبما كان عليها من أشياء، وأسماء الرُّكَّاب ثم يضعها في زجاجة ويختمها بالشمع الأحمر ويُلقيها في الماء.

لوزة: هل كانت وسيلة لإنقاذ السفن؟

نوسة: لا طبعًا؛ فهذه الرسالة قد لا تصل إلى الشاطئ إلا بعد شهور حسب الأمواج والتيَّارات البحرية، كما أنها قد لا تصل مطلقًا … أو تصل إلى شاطئ بعيد … فهناك رسائل أُلقيت في المحيط الهندي، وعُثر عليها في المحيط الأطلسي بعد شهور طويلة.

قال «عاطف» ضاحكًا: ربما كانت رسالة من قُرصان ظلَّت عائمة مئات السنين ... ولعل بها قصة كَنزٍ كبير مدفون في إحدى الجُزُر ...

لم تُعلق «لوزة» على حديث «عاطف» ولكنها غادرت المائدة وغسلت يديها ثم أمسكت بالزجاجة وأخذت تُفْرغ ما بها من الماء، واتضح أن الشيء الأبيض الموجود بالزجاجة هو ورقة مبرومة فعلًا ... ولكن بسبب المياه تضخمت وأصبحت أكبر من أن تَمُر بعنُق الزجاجة ... وأخذت «لوزة» تبذل ما في وسْعها لإخراج الرسالة ... ولكن دون جدوى.

وقال «تختخ» وهو يرْقب محاولتها: أقترح أن تتركيها في الشمس فترة وسوف تجفُّ الورقة وتعود لحجمها الطبيعي ويُصبح من السهل إخراجها ... ولكن «محب» اقترح فكرة أخرى.

رسالة من البحر …

قال «محب»: هل أنتِ مُصرة على الحصول على هذه الورقة؟

لوزة: نعم …

محب: أحسن فكرة أن تُدلي قطعة دوبارة مطوية على شكل دائرة فإذا دخلت الورقة في الدائرة جذبت الدوبارة ومعها الورقة.

لوزة: إنها فكرة مدهشة وسريعة.

قال «عاطف»: هناك فكرة أفضل وأسرع.

والتفت إليه الأصدقاء غير مُصدِّقين، فقال: اكسري الزجاجة.

وضحك الجميع … إنها فعلًا أفضل فكرة، ولكن «لوزة» قالت: إنني أريد الاحتفاظ بالزجاجة … إن شكلَها غريب.

وأسرعت بإحضار الدوبارة، وبدأت محاولتها … ومضى الوقت دون أن تنجح في إدخال الورقة في دائرة الدوبارة … وخرج الأصدقاء ومعهم «زنجر» وتركوها تُحاول وتحاول … وقد فكَّرت مرَّات في كسر الزجاجة … ولكنَّها خشيت سُخرية «عاطف» منها وقررت الاستمرار في المحاولة.

وأخيرًا نجحت في إدخال الورقة إلى الدائرة … ثم جذبت الدوبارة، وخرجت الورقة الملفوفة … وأحسَّت «لوزة» بسعادة لا تُوصف لأنها نجحت في محاولتها … وفي الوقت نفسه خشيت أن تكون الورقة بيضاء … وتكون نهاية ساخرة لكل هذه المحاولات … وأمسكت بالورقة، وبأصابع مرتعشة فتحتها … ووجدت أن عليها كتابة بخط كبير … وأخذت عيناها تجريان على السطور … ووجدت أن المياه قد طمست أو مَحت جزءًا كبيرًا من الرسالة … وأسرعت «لوزة» تصعد إلى سطح الفيلا … ووضعت الورقة في الشمس

لتجفَّ، وجلست بجوارها تحاول أن تقرأ ما يُمكن قراءته منها ... وقد أحسَّت من بعض السطور والكلمات أن الرسالة تعني شيئًا هامًّا ... فهناك كلمات مثل خطف وتهديد ... تاركة الكلمات المطموسة والممحوة ... وقرأت الآتي:

إلى كل من (...) الرسالة

١٣ (...) ١٩٧ إنني (...) صغير. (...) ليُهدِّدوا أبي المسكين، وقد (...) يتحدَّثون عن (...) ضخمة من البنك وقد طلبوا (...) أن يُسلِّمَهم (...) الخزَانة، لم يستطع رجال (...) أن يثبتوا (...) واضطرَّ أبي (...) بيروت.

(...) اسمه بريوس. (...) الإسكندرية يوم (...) غدًا. وأنا أكتب هذا يوم الإثنين، وقد اختاروا بلاج (...) قير. (...) برسوار. (...). ويلبسون مايوهات.

(...) مخدرًا. (...) وسيتولون اتخا (...) في انتظارهم أشخاص في شقَّة قريبة (...). إنَّ أحدهم اسمه (...) و(...) الحنش ...

سأضع هذه الرسالة في (...) من يجدها يتصل (...) في رقم تليفون (... ٨١).

إن (...) في خطر.

مح ... (...) (...)

أخذت «لوزة» ترتعد وهي تقرأ هذه الكلمات والسطور الناقصة، وقد أحسَّت أنها عثرت على مغامرة من نوعٍ جديدٍ ... مغامرة لم تمرَّ بها من قبل. وفكرت قليلًا ... إن كاتب الرسالة ذَكرَ كلمة يوم الإثنين ... واليوم الثلاثاء ... وقد كَتَب كلمة غدًا ... هل هذا يعني شيئًا؟

كان ذهنُها مُضطربًا ... وتركت الرسالة على السطح تجف، وقفزت السلالم نازلة وهي تُنادي: «تختخ» «محب» «عاطف» «نوسة» ... ولكنَّ أحدًا لم يرد عليها وعرفت من الشغالة أن الأصدقاء الأربعة ذهبوا لنُزهة قصيرة لشُرب الكوكاكولا من محل قريب، فقفَزَت إلى الشارع ... وأخذت تجري حتى وصلت إلى المحل ... ولكنها لم تجد أحدًا ... وسألت عنهم، فقال لها الصبي الصغير الذي يقف عند صندوق الكوكاكولا إنهم انصرفوا منذ دقائق قليلة ... فعادت جريًا إلى الفيلا ولكنها لم تجدهم قد وصلوا بعد ... فصعدت إلى السطح مرةً أخرى ... ومضت تقرأ الرسالة ... كانت بعض الكلمات مشوهة ... ولكن بعد أن جفت الورقة استطاعت أن تعرف بعضها ... «إنني على قارب بخاري (...) «بريوس» ... وقد اختاروا «أبو قير» ... سأكُون مخدَّرًا.» ... وسمعت صوت

أقدام على السلم ... ثم شاهدت رأس «نوسة» ... وسمعتها تقول: ماذا تفعلين في الشمس يا «لوزة»؟

أمسكت «لوزة» بالرسالة ولوَّحت بها قائلة: لُغز ...

ابتسمت «نوسة» وهي تُصيح منادية المغامرين: لُغز!

وظهرت الرءوس الثلاثة الباقية ... ثم ظهر رأس «زنجر» أيضًا ... وقالت «لوزة» مُشيرة إلى الرسالة: تعالوا اقرءوا هذه الرسالة.

عاطف: رسالة الكَنز؟!

لوزة: دعكَ من هذه الخيالات الصِّبيانية ... إنها رسالة في غاية الأهمية.

واجتمع المغامرون الخمسة حول الرسالة وأمسكت «لوزة» بها وأخذت تقرأ ما استطاعت قراءته منها.

وبعد أن انتهت من الرسالة تناولها «تختخ» وأخذ يتأملها ويُقلبها بين أصابعه، ثم قرأها بإمعانٍ وقال: إن كاتبها ولد بين العاشرة والرابعة عشرة من عُمرِه ... فالخط يوضح هذا ... وقد كتبها أمس.

نوسة: أمس.

تختخ: نعم ... فأمس كان يوم الإثنين «١٣»، واليوم هو الثلاثاء ...

خفق قلب «لوزة» وقالت: وماذا نَفهم منها يا «تختخ»؟

فكر «تختخ» لحظات ثم قال: أفهم منها أن هناك ولدًا مخطوفًا يستغيث ويطلُب ممن تصله الرسالة أن يتصل بشخص في تليفون يبدأ رقمه من ٨١ وأن خطفه له علاقة بسرقة بنك يعمل فيه والده.

لوزة: لقد وصلتُ تقريبًا إلى الاستنتاجات نفسها.

تختخ: هل فهمتِ ماذا تعني كلمة برسوار؟

لوزة: أليس هو القارب المطاط المُسطح الذي يُستخدم على البلاج؟

تختخ: نعم ... ولكن ما سبب وروده في هذه الرسالة؟

أمسكت «نوسة» بالرسالة وقالت: أكاد أفهم أنهم سيصلون إلى الشاطئ بهذا البرسوار.

تختخ: هذا صحيح ... ولكن من هم الذين سيصلون؟

محب: مَن يدري؟

تختخ: إننا نسير في الطريق الخاطئ ... ونُسرع إلى استنتاجات قد لا تُؤدي إلى شيءٍ وأعتقد أنه من الأفضل مُحاولة وضع كلمات معقولة مكان الكلمات التي أضاعتها مياه البحر ... ولنبدأ من البداية.

وسكت «تختخ» قليلًا ثم بدأ يقرأ الرسالة محاولًا إكمال الكلمات ... فقال: الثالث عشر شهر سبعة ... لأننا في شهر يوليو ... ثم إنني أعتقد أن الكلمة التالية المناسبة هي ولد ...

نوسة: معقول جدًّا ... ولد صغير.

قال «تختخ»: (مساحة بيضاء) ثم ليُهدِّدوا أبي المسكين ...

نوسة: أقترح كلمة خطفوني.

محب: معقول ... إنني ولد صغير خطفوني ليُهددوا أبي المسكين ...

تختخ: ثم كلمة وقد (مسافة بيضاء) ... ثم يتحدثون عن ...

عاطف: أقترح وقد سمعتهم يتحدثون عن سرقة ضخمة من البنك!

تختخ: معقول جدًّا ... إننا نَسير في الطريق الصحيح.

ثم مضى يقرأ: وقد طلبوا (مسافة بيضاء) ...

قالت لوزة: أقترح مكان المسافة البيضاء «مِنْ أبي» أن يُسلِّمهم ...

تختخ: معقول ... ثم نمضي في السطر ... إن السطر يُصبح وقد طلبوا من أبي أن يُسلمهم مفاتيح الخِزانة ... ثم لم يستطع رجال الشرطة أن يُثبتُوا هذا التهديد ...

عاطف: معقول!

تختخ: واضطرَّ أبي ثم (مسافة بيضاء) ثم كلمة بيروت.

محب: واضطر أبي أن يُرسلَني إلى بيروت.

تختخ: معقول ... فالقصة إذن أن أشخاصًا طلبوا من الأب أن يُسلمهم مفاتيح بنك ليسرقوه، وهدَّدوه بخطف ابنه ... وأبلغ الشرطة، ولكنهم لم يستطيعوا إثبات التهديد فاضطر الأب إلى إرسال ابنه إلى «بيروت» ليكون بعيدًا عن أيدي العصابة.

ومضى «تختخ» يقرأ: (مساحة بيضاء) ... ثم اسمه «بريوس».

وصمت الجميع ... فلم تكن هناك كلمة مناسبة ... فقال «عاطف»: ربما شخص اسمه «بريوس» مثلًا.

تختخ: إن ميناء «بيريه» في اليونان اسمه باليونانية «بيريوس» ولعلَّه يقصد أنهم ذهبوا به إلى ميناء «بيريوس».

«نوسة»: ولماذا لم يَكتبها «بيريه»؟

تختخ: لنترك هذا الآن ونمضِ في قراءة بقية الرسالة ... (مساحة بيضاء) ثم «الإسكندرية يوم» ... وأعتقد أنه يقصد يوم الثلاثاء غدًا ... لأنه كتب بعد ذلك ... وأنا أكتب هذا يوم الإثنين.

لوزة: إننا نقترب من حل لغز الرسالة.

تختخ: نعم ... وأعتقد أننا يُمكن أن نقرأ السطر التالي هكذا ... وسوف يركبون برسوار ثم (مساحة بيضاء) ولعلَّها مكان يُعرَف بالبرسوار ثم يلبسون مايوهات.

محب: لا بأس ... فهذا يتفق مع بقية الرسالة.

تختخ: (ومساحة بيضاء) ثم كلمة مخدرًا.

نوسة: سيَسقُونني مخدرًا ... أو سأكون مخدرًا.

تختخ: معقول جدًّا ... ثم سيقولون إنني (ومساحة بيضاء) فماذا يقصد؟

صمت الجميع لحظات فقال «تختخ»: إننا فهمنا حتى الآن أنهم خطفوا الولد من بيروت وعادوا به إلى مصر ... وأنهم سيدخلون «أبو قير» ومعهم الولد ... ولأنه سيكون مُخَدرًا فمن المعقول أنهم سيقولون إنه مريض مثلًا.

محب: ونقرأ السطر سأكون مُخَدَّرًا، ثم سيقولون إنني مريض.

تختخ: في انتظارهم أشخاص في شقة قريبة (مساحة بيضاء) ... أعتقد أن من الممكن أن نقول شقة قريبة من الشاطئ.

تختخ: إن أحدهم اسمه (مساحة بيضاء) و(مساحة بيضاء) «الحَنَش».

لوزة: اسم أحدِهم لا نعرفه والثاني «الحَنَش».

تختخ: معقول جدًّا ... إننا نَقترِب من لغزٍ خطيرٍ.

صديقان من السودان

زاد حماس الأصدقاء وهم يقتربون من قراءة بقية الرسالة ... وقرأ «تختخ» السطور الأخيرة بسرعة بعد أن وضع الكلمات المناسبة في مكانها: سأضع هذه الرسالة في الزجاجة وأُلقيها في البحر ... مَنْ يجدها يتصل بأبي في رقم تليفون (... ٨١) إن حياتي في خطر.

وسكت «تختخ» قليلًا ثم قال: والإمضاء «ميم حاء» ... وهما حرفان يمكن أن يبدأ بهما اسم «مُحمَّد» مثلًا.

لوزة: أو «محمود».

نوسة: أو «محسن».

محب: أو «محب» أو «مُحي» أو ...

عاطف: أقترح أن نسمع الآن الرسالة كاملة.

أخذ «تختخ» يقرأ: الثالث عشر الشهر السابع ... إنني ولد صغير خطفوني ليُهددوا أبي المسكين. وقد سمعتهم يتحدثون عن سرقة ضخمة من البنك. لقد طلبوا من أبي أن يُسلمهم مفاتيح الخِزانة. ولم يستطع رجال الشرطة إثبات التهديد. واضطرَّ أبي أن يرسلني إلى بيروت.

وسكت «تختخ» لحظات ثم قال: ولم نَعرف بعدُ ماذا يقصد ﺑ «بريوس» ... ثم نمضي في الرسالة: سنصل إلى الإسكندرية يوم الثلاثاء غدًا. وأنا أكتب هذا يوم الإثنين وقد اختاروا بلاج «أبو قير» وسيركبون برسوار ويلبسون مايوهات سأكون مُخَدرًا، وسيقولون إنني مريض. في انتظارهم أشخاص في شقة قريبة من الشاطئ. إنَّ أحدهم اسمه ... والثاني اسمه «الحَنَش» سأضع هذه الرسالة في زجاجة من يجدها يتَّصل بأبي في رقم تليفون ... إن حياتي في خطر، ثم الإمضاء.

سكت «تختخ» ونظر إلى المغامرين الأربعة فقالت «لوزة»: معنى ذلك أنهم سيصلون اليوم.

تختخ: وربما يكونون قد وصلوا ... هل فهمتم الخطة؟

قال «محب»: فهمت أنهم سيقتربون من البلاج على برسوار وكأنهم من المُصيفين ... ومعهم الولد مُخَدَّرًا وسيقولون إنه مريض، ولن يشكَّ فيهم أحد؛ فهناك عشرات من البرسوارات على الشاطئ.

قال «تختخ» مقاطعًا: ولكن هل سيَصِلون من بيروت إلى «الإسكندرية» في «برسوار»؟

هَزَّ «محب» رأسه وقال: بالطبع لا يمكن.

تختخ: هذا يعني أن هناك سفينة ستأتي بهم إلى قُرب الإسكندرية.

نوسة: هل كلمة «بريوس» هي اسم هذه السفينة.

تختخ: معقول جدًّا ... ربما يقول الولد إنني على سفينة أو مركب اسمه «بريوس» فكثير من السُّفن والمراكب تأخذ أسماءها من أسماء البلاد.

محب: إذن الخطة واضحة جدًّا ... وهي خطة جُهنمية لا مثيل لها ... فهم لا يستطيعون دخول الميناء بشكل رسمي؛ لأن رجال الشرطة سوف يسألون عن أوراق الولد، وربما لا تكون معهم هذه الأوراق، وقد يكونون من اللصوص والمسجَّلين لدى رجال الشرطة، ولا يريدون الدخول بشكل عادي ... وخطتهم بسيطة جدًّا ... تبحر السفينة من بيروت وهم عليها ... وعندما يقتربون من الإسكندرية ينزلون في «البرسوار» ويَدخُلون الشاطئ ببساطة كأيِّ مُصيفين محترمين.

نوسة: يا لها من خطة!

وفي هذه اللحظة سمعوا صوت السيدة «كريمة» تُنادي عليهم ... وعندما نزلوا قالت غاضبة: ماذا تفعلون في هذه الشمس النارية ... ألا تخشون أن تُصابوا بضربة شمس؟!

ردَّت «لوزة»: إننا كنا نقرأ رسالة.

السيدة: من أين؟

عاطف: رسالة من البحر يا عمتي.

السيدة: لعلها تلك الورقة التي كانت في الزجاجة التي كادَت «لوزة» تغرق من أجلها.

تختخ: بالضبط.

قالت السيدة ضاحكة: إن هناك أولادًا كثيرين يلعبون هذه اللُّعبة، يكتبون رسائل استغاثة ويضعونها في الزجاجات ... ويسخرون ممَّن يعثر عليها.

نظر المغامرون بعضهم إلى بعض ... هل هم ضحية ولد عابث يَسخر منهم؟

عادت السيدة تقول: لقد وقعت حادثة مماثلة الأسبوع الماضي، وعثر شخص على رسالة في زجاجة … وذهب بها إلى قسم الشرطة … وانطلق رجال الشرطة يبحثون عن أصل الحكاية … حتى اتَّضح في النهاية أنها كانت مجرد دُعابة قام بها بعض الأولاد لإثارة المرح على الشاطئ.

عاد المغامرون يتبادلون النظرات، فقالت السيدة «كريمة»: هل هي رسالة استغاثة؟

ردَّت «نوسة» حزينة: نعم يا عمتي … رسالة من ولد يُدعى «مُحمَّد» أو «محمود» أو «محب».

ضحكت السيدة قائلة: من أين أتيت بهذه الأسماء؟ ولماذا لا يكون اسمه «إبراهيم» أو «عصام» أو «حُسام» مثلًا؟

لوزة: إن حرفين من اسمه بقيا وأكلَتْ مياه البحر بقية الاسم … الحرفان هما حرف الميم والحاء.

السيدة: إنه ولد خبيث، فهو لا يريد أن يكشف عن اسمه … وسوف تجدون في النهاية أنها مجرد دُعابة … فلا تُضيِّعوا وقتكم في البحث كعادتكم في مثل هذه المسائل.

عادت النظرات تلتقي، وقامت السيدة «كريمة» … قائلة إنها ذاهبة لزيارة أسرة من أصدقائها وتركت الأصدقاء، وقد سكبت على حماسهم ماءً باردًا وران عليهم الصمت.

قالت «لوزة» فجأة: إن قلبي يُحدثني بأن هذه الرسالة حقيقية، وأنَّنا يجب أن نتدخل لإنقاذ الولد.

لم يردَّ أحد من المغامرين … فلم يكونوا يحبُّون أن يُصبحوا موضع سُخرية أحد ولكن «لوزة» وقفت تُدافع عن وجهةِ نظرها قائلة: هناك احتمالان؛ أن تكون رسالة مُزيفة فنتعرَّض لبعض السُّخرية … وأن تكون رسالة حقيقية ونتجاهلها، وهذا يعني أننا قد قعدنا عن مساعدة شخص يحتاج إلى مساعدتنا.

لم يرد أحد مرة أخرى، فقالت «لوزة» وهي تتحرَّك في اتجاه باب الخروج: سوف أذهب وحدي … فليس عندي مانع من أن أتعرَّض للسخرية، بدلًا من أن يُعذِّبَني ضميري لأني قد أكون قد تخلَّيت عن مساعدة إنسان في ضيق.

نوسة: سأذهب معك يا «لوزة»!

محب: انتظري قليلًا يا «لوزة» …

وساد الصمت لحظات ثم قالت «نوسة»: ماذا نخسر إذا حاولنا؟

لم يردَّ أحد وفجأة قال «تختخ»: هيا بنا.

عاطف: إلى أين؟

تختخ: سنذهب إلى البلاج ونبحث دون أن يحسَّ أحد بحقيقة مهمَّتنا.

عاطف: ولكن ماذا نفعل بالضبط؟ وعن أيِّ شيء نبحث؟

تختخ: عن برسوار عليه ثلاثة رجال وولد صغير. هيا بنا.

واندفع المغامرون الخمسة نازلين السلم، ووقفت السيدة «كريمة» تنظر إليهم وهي في غاية الدهشة ... وعندما وصلُوا إلى الشارع قال «تختخ»: «محب» و«عاطف» عليكما الذهاب إلى أول الشاطئ عند محلِّ «زفريون» وأن تسألا عن برسوار دخل البلاج وعليه ثلاثة رجال وولد ... وسأذهب أنا إلى أول الشاطئ من الجانب الآخر أي من ناحية المُعسكَر ومعي «زنجر» ... أما «لوزة» و«نوسة» فتَذهبان إلى منطقة «ساسوها» ... في وسط الشاطئ ... والسؤال كما قُلت عن برسوار عليه ... ردَّت «نوسة»: ثلاثة رجال وولد.

وانطلق الجميع ... جرى «محب» و«عاطف» ناحية «زفريون» وجرت «نوسة» و«لوزة» ناحية الشاطئ الأوسط ... و«تختخ» و«زنجر» إلى منطقة المُعسكَر، وصاح «تختخ»: سنلَتقي جميعًا على الكازينو المُجاوِر للبلاج «ساسوها».

كانت «لوزة» شديدة الانفعال ... لقد صدق ظنُّها مرةً أخرى في شم رائحة مغامرة وها هم أولاء مشغولون بها ... وتمنَّت أن تجد هذا البرسوار ... أما «تختخ» فمضى يُحدِّث نفسه ... هل الحكاية صحيحة؟! لو صدق هذا، فهي خُطة جُهنمية لم يسبق لها مثيل. وها هُم أمام عِصابة مُنظمة وخطيرة ... ولكنَّ المُهم الآن هو العثور على هذا البرسوار ...

كان «محب» هو المُغامر حَسن الحظ ... فعندما وصل هو و«عاطف» إلى شاطئ «زفريون» كانت الساعة حوالي الرابعة ... وقد خلا البلاج إلَّا من عددٍ قليلٍ من الروَّاد. واستطاع بعد سَير استمرَّ بضع دقائق أن يَلمح «برسوار» أخضر اللون ممددًا على الرمال وليس بجواره أحد ... سوى ولد صغير أسمر اللون كان يلعب «الراكت» ... مع فتاة تُشبهُه.

اقترب «محب» من الولد وسأله: هل هذا «البرسوار» لك؟

ردَّ الولد: لا!

محب: هل تَعرف صاحبه؟

ردَّ الولد: لا ... ولكني كنتُ موجودًا عندما وصل حوالي الساعة ١٢ وكان يَركبه ثلاثة رجال وولد صغير مريض.

محب: أنت متأكِّد؟

الولد: نعم ... وقد حملوا الولد وشاهدَهم رجال الإنقاذ فأسرعوا إليهم فقد ظنوا أن الولد غريق ... ولكنَّ الرجال الثلاثة قالوا إنه مُصاب بضربة شمس وإنهم سيحملونه إلى الطبيب ... وكنت ساعتها عائدًا إلى منزلي فرأيتُهم يحملونه إلى منزل في الشارع المجاور لنا.

خَفق قلب «محب» فلم يكن يتصوَّر أن يتمَّ كل شيءٍ بهذه السهولة، وأن يجد هو «البرسوار» بهذه السرعة فقال للولد: من فضلك، هل يمكن أن تدُلني على مكان المنزل؟

تردد الولد لحظات ثم نَادى الفتاة التي تلاعبه وقال لها: هل تذكرين الرجال الثلاثة الذين أتوا بهذا البرسوار ومعهم الولد المريض؟

ردت الفتاة: نعم ... لقد ذهبوا إلى منزل مجاور لنا.

محب: هل رأيتهم من قبل؟

الفتاة: لا ... هذه أول مرة أراهم فيها.

محب: هل يُمكن أن تدلَّانا على مكان المنزل من فضلكما.

نظرت الفتاة إلى الفتى وقالت: لا بأس هيا بنا.

ومشى الأربعة وعرف «محب» و«عاطف» أن الفتى والفتاة ضيفان من السودان يقضيان الصيف في الإسكندرية ... وعرفهما بنفسه وبـ «عاطف» ... وسار الأربعة ودخلوا شارعًا قريبًا من البلاج ... وأشارت الفتاة إلى منزل وقالت: هُنا ...

عندما بكت «لوزة»

كان العثور على «البرسوار» ... وعلى المكان الذي نُقل إليه الولد المخطوف بهذه السرعة أشبه بالصدمة بالنسبة لـ «محب» و«عاطف» فلم يسبق من قبل أن عَثرا بهذه الطريقة البسيطة على أدلة قوية ... بل على مكان وصول الذين خطفوا الولد الصغير «مح» كما سمَّياه ... بل إن مجرد التأكد من أن المعلومات والاستنتاجات التي قام بها المغامرون الخمسة صحيحة. كان شيئًا مدهشًا، لهذا توقف «محب» أمام المنزل مُندهشًا ... وعندما استأذن الولد والفتاة الأسمران في العودة إلى لعبهما، أحنى لهما رأسه دون أن ينطق بكلمة واحدة.

قال «عاطف»: والآن ما العمل؟ لقد تحقَّقت ظنون «لوزة» بأسرع مما توقعنا.

ردَّ «محب» بصوتٍ خافتٍ: سنَصعَد إلى الشقة وندُق الجرس.

عاطف: إنك تُفكر كطفل صغير ... كيف تتصوَّر أن نفعل هذا؟! إننا كمن يضع رأسه بين فكي الأسد.

محب: الدقائق لها قيمتها، وقد يكون الولد ما زال موجودًا في الشقة، فالساعة الآن الرابعة؛ أي إنَّهم وصلوا منذ أربع ساعات فقط.

عاطف: أربع ساعات ليست مدة قصيرة، إنها تَكفي للذهاب إلى القاهرة والعودة منها، وتكفي للسفر بالطائرة إلى روما.

محب: وماذا تَقترح؟

عاطف: أن يَبقى أحدُنا للمراقبة ويذهب الآخر لمقابلة «تختخ» و«نوسة» و«لوزة» لإخبارهم بما حدث.

محب: سأبقى أنا ... اذهب أنت.

وانطلق «عاطف» جاريًا، كان الموعد حسب خطة «تختخ» الالتقاء على الكازينو عند بلاج «ساسوها» ووصل فلم يجد أحدًا ... وأخذ يتطلع حوله، كان الكازينو خاليًا في هذه الساعة إلا من بضعة رواد جلسوا يشربون الشاي وبعض الأطفال يلعبون في المياه.

واحتار «عاطف» هل يَنطلق للبحث عن «تختخ» أو عن «لوزة» و«نوسة» ولكن حيرته لم تستمر طويلًا؛ فقد انطلق من بين الكراسي المُغامر السادس «زنجر» وأخذ يقفز على قدمَي «عاطف» وظهر «تختخ» وعندما شاهَدَ وجه «عاطف» قال: لقد عثرتَ على شيء!

عاطف: لقد عثَرنا على كل شيءٍ!

اتسعت عينا «تختخ» وقال: على الولد أيضًا؟

عاطف: لا ... لقد عثرنا على برسوار أخضر اللون عند بلاج «زفريون» بواسطة فتى وفتاة من السودان استطعنا متابعة الرجال الثلاثة الذين وصلوا على البرسوار ومعهم ولد صغير إلى شقة قريبة من البلاج.

تختخ: معلومات خطيرة ... وماذا فعلتما؟

عاطف: وقف «محب» للمُراقبة هناك وجئت لمقابلتك أنت و«لوزة» و«نوسة» وإخطاركم بما حدث.

وتلفَّتَ «تختخ» حوله، ولكن لم يكن هناك أثر للفتاتَين، فقال: هيا بنا ويمكن لـ «لوزة» و«نوسة» أن تَنتظِرا عودتنا هنا.

وانطلق الولدان ... وبعد مسيرة دقائق كانا يقفان مع «محب» الذي أشار إلى المنزل وقال: دخل الرجال الثلاثة والولد هنا.

فكَّر «تختخ» لحظات ثم قال: ابقَ هنا أنت يا «عاطف» وسأصعد مع «محب» إلى المنزل نحاول البحث عن الشقة المقصودة.

كان المنزل مكونًا من أربعة طوابق ... كل طابق من شقتين ... وكان بعض الأطفال يجلسون في شُرفات المنزل يتحدَّثون ... وبعض الأولاد يلعبون بالكرة في الشارع ... ودخل المغامرون المنزل وتولى «تختخ» السؤال، وفي البداية التقيا بفتاة صغيرة قال لها «تختخ»: هل جاء اليوم سكان جُدد إلى المنزل؟

ردت «الفتاة»: لا أعرف!

تختخ: هل تسكُنين هنا؟

الفتاة: نعم ... في الدور الثاني مع أبي وأمي وإخوتي.

تختخ: والشقة المقابلة لكم؟

الفتاة: فيها أسرة الأستاذ «حسين» وهم جيران لنا في القاهرة.

تختخ: هل تعرفين بقية سُكان المنزل؟

الفتاة: أعرف سكان الدور الثالث فقط ... ولكن لا أعرف أحدًا آخر ...

شكر «تختخ» الفتاة التي أسرعت جارية وقال «تختخ»: نستطيع أن نقول إن الرجال الثلاثة لم يدخلوا الدور الثاني أو الثالث.

محب: أمامنا الدور الأول والرابع ... ولو كنتُ مكان هؤلاء الرجال وأقوم بعمل ضد القانون لاخترتُ الدور الأرضي.

ابتسم «تختخ» وقال: استنتاج صائب يا «محب» ... ولهذا سوف نصعد إلى الدور الرابع أولًا لنتأكد فقط، ثم نحصر شُبهتنا في الدور الأول.

وصعدا السلالم حتى الدور الرابع ... ووجدا إحدى الشقتين مفتوحة ... وولدًا صغيرًا يلعب أمامها بِكُرةٍ صغيرة، كادت تقع منه على السلالم فأسرع «محب» يلتقطها ويُعيدها إليه ... وكانت الشقة الثانية مُغلقة ... وتقدم «تختخ» ليدُق الباب ويسأل عن أيِّ شخص حتى يعرف نوع السكان ... ولكن الباب فتح في هذه اللحظة فظهر رجل عجوز يلبس نظارة طبية ... وأخذ يُحَدِّق في «تختخ» وقال: ألا تَكُفوا عن مضايقتنا؟! ابتعدوا عن الولد، إنَّ عنده ملحق وسوف يَرسُب لكثرة لعبه معكم ... هيا من هنا وإلا ...

ورفع يده مُهدِّدًا، وأسرع «تختخ» و«محب» ينزلان وهو خلفهما يصيح: هؤلاء الأولاد لا يكفُّون عن اللعب ... أليس لكم أهل يسألون عنكم ... كل يوم كُرةٌ أمام البيت كل يوم جري ورَمح في الشارع ...

وطار «تختخ» و«محب» خارج المنزل. فلم يكن في إمكانهما أن يشرحا للرجل الثائر سبب حضورهما ... فقد كان من الواضح أنه أب عنده ولد له دورٌ ثانٍ وأن الولد يذهب للعب مع سكان الشارع. وأن الأب غاضب جدًّا، ولو وقفا أمامه لما تردَّد في ضربهما.

وصلا إلى الشارع وقد تأكَّدا أن الرجال الثلاثة دخلوا إحدى الشقتَين في الدور الأرضي، وكان عليهما الآن أن يُخطِّطا لما سيَفعلانه ... فالخطوات القادمة هامة وخطيرة، وأيُّ خطأ قد يؤدي إلى كارثة.

قال «محب»: ما رأيك في أن نُبْلغ قسم الشرطة الآن؟! إن عندنا معلومات شبه مؤكدة عن حضور هؤلاء الثلاثة.

فكر «تختخ» لحظات ثم قال: معقول ... هل معك الرسالة؟

محب: لا ... أظنها مع «لوزة».

تختخ: تعالَ نذهب لمقابلة بقية المغامرين ونُخبرهم بما حدث وسنُناقش ما يمكن عمله فإذا وافقوا على الذهاب إلى الشرطة أخذنا الرسالة وذهبنا.

وأسرعا إلى الكازينو و«زنجر» خلفهما حتى وصلا فوجدا «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» يتحدثون، فقال «تختخ»: لقد وجدنا المنزل ووجدنا مكان الشقة تقريبًا، ويرى «محب» أنه من الممكن إبلاغ الشرطة بما عندنا من معلومات.

عاطف: هل نسيتم حديث عمَّتي ... وحكاية الولد الذي كتب رسالة الاستغاثة على سبيل المِزاح وما قام به رجال الشرطة من مجهودات انتهت بأن عرفوا أنها رسالة مزيفة ... أعتقد أننا لو ذهبنا لما صدقونا.

محب: ولكن نحن عندنا معلومات وشهود ...

تختخ: هاتي الرسالة يا «لوزة» ...

لوزة: إنها ليسَت معي ... لقد تركتها على السطح لتجف ...

تختخ: إذن نعود إلى المنزل لإحضار الرسالة ثم نذهب إلى قسم الشرطة ونُخطرُه بما حدث، فإذا تَحرَّوا الحقيقة، كان بها ... وإلا قُمنا نحن باستكمال المغامرة.

واتجهوا إلى المنزل مسرعين ... وسبقتهم «لوزة» في الصعود إلى السطح ... وسمعوها تجرى هنا وهناك ... وصعد بعدها «محب» ... ووقف الباقون ينتظرون ... ومضت فترة وقال «تختخ»: ماذا يفعلان على السطح؟

قال «عاطف» ضاحكًا: ربما يشمَّان النسيم العليل.

تختخ: اصعد لترى لماذا تأخرا يا «عاطف»؟

عاطف: لماذا لا تصعد أنت؟! إن هذا يفيدك كثيرًا في تخفيف وزنك.

ثم انطلق «عاطف» ولكن قبل أن يصعد نصف السلم ظهر وجه «لوزة» وهي تقول: لم نجد الرسالة.

نوسة: لم تجدا الرسالة ... كيف؟

لوزة: بحثنا عنها في كل مكان ... لقد تركتها لتجف في الشمس، ونسيت أن أضع عليها قطعة من الطوب حتى لا تطير ... ولكن يبدو أنها طارت.

تختخ: يا لَلحظِّ السيِّئ ... تعالوا نبحث عنها حول الفيلا ... ربما لم تَبتعِد.

ونزلوا جميعًا ... كانت الفيلا تقع عند نهاية شارع جانبي ... وبعدها الصحراء ثم أحد المصانع ... وكانت هذه المساحة يُغطيها عشب خفيف ... وترعى فيها عشرات من الماعز ووقف المغامرون لحظات ... ثم قسَّموا أنفسهم بحيث يُحيطون بالفيلا ... وانحنوا جميعًا على الأرض يبحثون ...

كانت هناك آلاف من الأوراق المتناثرة هنا وهناك بفعل الريح ... وأخذت الأيدي تلتقط ورقة هنا وورقة هناك ... وكلما ظنَّ واحد منهم أنه عثر على الورقة اتضح أنها ليست

هي ... وبمرور الوقت أحسوا أنهم يُضيِّعون وقتهم في محاولة غير مُجدية ... ولكن فجأة صاحت «لوزة»: هذه هي الورقة!

وكانت تنظر على بُعد أمتار منها على ورقة تعلقت ببعض الأعشاب الجافة ... وكانت «لوزة» متأكدة أنها هي الورقة التي أخرجتها من الزجاجة الصفراء ... وتقدمت «لوزة» تناول الورقة ... وتوقف الجميع ينظرون إليها ... ولكنَّ الورقة طارت بعد أن دفعتها الريح بعيدًا، وأسرعت «لوزة» ... خلفها ... وكلما تقدمت لتُمسكها طارت الورقة ... وفجأة وقع ما لم يكن في الحُسبان ... فقد تقدمت مِعزة وأخذت الورقة بين أسنانها ...

ولم يتمالك «عاطف» نزعة السُّخرية في نفسه فصاح: إن المِعزة ستشترك معنا في المغامرة! ولكن أحدًا لم يضحك ... وأسرعت «لوزة» تُحاول جذب الورقة من بين أسنان المِعزة ... ولكن المِعزة جرت فزِعة ناحية الصحراء وجرت خلفها «لوزة» وتَحمَّس «زنجر» للمطاردة فأسرع كالصاروخ يحاصر المِعزة التي أخذت تقفز برشاقة فوق الرمال ... وعشرات من الماعز تُطلق ثغاءها، وامتلأ الجو بالضجيج ...

كان «زنجر» أسرع واستطاع أن يقف أمام المِعزة وأن يُحاصرها وتقدمت «لوزة» لاهثة الأنفاس من المِعزة التي أخذت تلْوك الورقة ... وعندما استطاعت «لوزة» في النهاية أن تجذبها لم يكن قد بقي منها سوى قطعة صغيرة في حجم الورقة ذات العشرة قروش ... ونظرت إليها «لوزة» وانفجرت باكية.

المكالمة التليفونية ...

أسرع الأصدقاء إلى «لوزة» فقال «تختخ»: ماذا جَرى با «لوزة»؟!

قالت «لوزة» وهي تُحاول أن تتمالك نفسها: الرسالة!

تختخ: لقد عرفنا كل ما فيها ... ولم يعد يهمنا وجودها.

لوزة: ولكن الشرطة لن تُصدِّقنا.

تختخ: لا بأس ... سوف نَعتمد على أنفسنا.

لوزة: هل نستمر في البحث؟

تختخ: بالطبع ... إن المسألة حقيقية وليست عبثًا ولا وهمًا، وسنذهب الآن للبحث عن الرجال الثلاثة.

محب: ولكن ماذا نفعل بالضبط؟

تختخ: إذا وجدنا الرجال الثلاثة والولد ما زالوا في الشقة فسوف نُخطِر رجال الشرطة.

محب: وإذا لم نجدهم؟

تختخ: لا أدري ... ربما يكون دورنا في المغامرة قد انتهي عند هذا الحد، وفي هذه الحالة أتصور أن نتصل تليفونيًّا بالمفتش «سامي» ونُخطره بكل ما حدث ... وأعتقد أنه يستطيع أن يجد موظفًا في بنك له ابنٌ يبدأ اسمه بالحرفين «م. ح» وأن هذا الموظف أرسل ولده للدراسة في بيروت خوفًا من بطش عصابة تُهدده.

محب: ستكون مهمة شاقة ... فعندنا عشرات البنوك، ولها عشرات الفروع.

تختخ: هذا ما يمكننا عمله على كل حال.

كانت الساعة قد أشرفت على السابعة مساءً ... وبدأت الشمس تغرُب ... عندما بدأ المغامرون يتحرَّكون للذهاب إلى المنزل في شارع «الأزهار» ... حيث اختفى الرجال الثلاثة والولد ... ولكن حدث ما لم يكن في الحُسبان ... أطلت السيدة «كريمة» من الشُّرفة ونادت على «محب» قائلة: تليفون مِن القاهرة يا «محب»!

وأسرع «محب» وشقيقتُه «نوسة» إلى داخل الفيلا. وقال «محب»: لا تَذهبوا بدوني.

ودخل الجميع إلى الفيلا، وأسرع «محب» إلى التليفون وسمع صوت والده يقول: كيف حالكم جميعًا؟

قال «محب»: على ما يُرام ... إننا نقضي إجازة طيبة.

الأب: لا تنسَ أن موعد عودتِكم غدًا.

محب: ألا نستطيع البقاء بضعة أيام أخرى؟

الأب: لا ... فإنني مسافر في مهمَّة ووالدتُك مريضة ... ولا بد أن يبقى أحد بجوارها.

فخفق قلب «محب» وصاح: مريضة ... ماذا بها؟

الأب: لا تَنزعج ... المسألة بسيطة ... فقط تحتاج إلى من يبقى بجوارها.

وأسرعت «نوسة» تخطف السماعة من يد «محب» وتسأل عن والدتها بلهفة وجَزع، ولكن الأب طمأنها وطلب عودتها هي و«محب» ... ثم قال الأب: إنني أطلبكما منذ الساعة الثانية عشرة ظهرًا ... ولكن هناك تأخير في المكالمات ... وقد لا أستطيع محادثتكم مرةً أخرى ... فعودا غدًا.

وانتهت المكالمة ... وجلس «محب» و«نوسة» صامتين، فقال «تختخ»: لا تنزعجا بهذا الشكل ... لو كان الأمر خطيرًا لطلبتُ منكما الحضور فورًا.

ساد صمت ثقيل ... وانقضى بعض الوقت، وأخذت «لوزة» تهزُّ قدمها في عصبية، فقد كانت تريد أن تتحرك لاستكمال البحث.

قالت «نوسة»: سأقوم لحزم الحقائب واذهب أنت يا «محب» لحجز مكانَين لنا في القطار.

تختخ: إننا لن نبقى بعد سفركما ... نحن أيضًا نريد الاطمئنان على والدتكما ... سنُسافر جميعًا!

قالت «لوزة»: والرسالة!

تختخ: لا بأس أن نُحاول محاولة أخيرة لمعرفة مصير الولد ... فإذا لم نجده فستكون أمامنا الفرصة غدًا لمقابلة المفتش «سامي» ورواية كل شيءٍ له، وهو سيتصرَّف طبعًا لأنه يعرف أننا لا نقول سوى الحقيقة.

قامت الشغالة بإعداد الشاي وبعض الحلويات للأصدقاء فتناولوها صامتين، وهبط الظلام شيئًا فشيئًا، وقال «تختخ»: سأخرُج مع «زنجر» فقط ... وليبقَ الجميع هنا لحين عودتي.

محب: هل أذهب لحجز أماكن لنا في القطار؟

تختخ: بالطبع ... سوف نُسافر جميعًا ... لقد قضينا سبعة أيام وهذا يكفي، وقد نعود مرة أخرى في شهر أغسطس القادم.

لوزة: أريد أن آتيَ معك يا «تختخ».

تختخ: لا داعي ... سأعود سريعًا.

انطلق «تختخ» ومعه «محب» و«زنجر» فلما وصلوا إلى شارع «النقلي» انفصلوا فاتجه «محب» إلى محطة السكة الحديد واتجه «تختخ» إلى شارع «الأزهار» ...

كان الظلام قد هبط تمامًا عندما وصل «تختخ» إلى قُرب المنزل ... ولاحظ أن الدور الأرضي به شقة مُضاءة ... وشقة مُظلمة ... وتقدَّم وخلفه «زنجر» حتى أصبح بجوار المنزل مباشرة وتوقف ... كان يريد البحث عن حُجة يدخل بها المنزل ... لم يجد شيئًا يمكن عمله إلا الأسلوب القديم ... وهو السؤال عن اسم ساكن غير موجود ... وقرَّر أن يُجرب هذا في الشقة المُضاءة ... دق الجرس ووقف منتظرًا حتى فُتح الباب ووجد ولدًا في مثل سِنِّه تقريبًا ينظر إليه مستفسرًا ... قال «تختخ»: الأستاذ «حكيم» من فضلك!

نظر إليه الولد في دهشة وقال: «حكيم»؟! ليس هنا أحد باسم «حكيم».

تختخ: أليس هذا المنزل رقم «١٦»؟

الولد: لا إنه رقم «١٨».

تختخ: آسف جدًّا ...

وتظاهر «تختخ» بالاستعداد للانصراف حتى أغلق الولد الباب، والتفت إلى الشقة المظلمة ... لقد أصبح متأكد الآن أن الرجال الثلاثة والولد موجودون فيها ... أو على الأقل كانوا فيها، فماذا يفعل؟ هل يتبع الأسلوب التقليدي ويبحث عن ساكن لا وجود له ... إنَّ عصابةً تخطف ولدًا وترسم هذه الخُطة الجُهنمية وتُنفِّذها ستشك على الفور فيه ... وإذا لم تشُك فعلى الأقل ستأخذ حَذرها ...

ونظر «تختخ» حوله فلم يجد أحدًا ... وانحنى ونظر من ثُقب الباب ... لم ير شيئًا لأن الظلام كان كثيفًا ... ماذا يفعل؟

خرج إلى الشارع واقترب من الشُّرفة ... كانت تعلوه بحوالَي متر ... ونظر حوله وكان الشارع مزدحمًا ... ولكن لم يكن هناك أحد ينظر ناحيته ... وكان للشُّرفة أفريز بارز فقفز برغم سِمنته، وتعلق بالإفريز ... ثم اعتمد على ذراع واحدة بعد أن ثبَّت قدمه في الطوب الناتئ ... واختبر النافذة وقد دُهشَ كثيرًا عندما وجد المصراع الخشبي يهتزُّ ...

وأدرك أنه مغلق دون قفل من الداخل ... وأنه من الممكن دخول الشقة عن هذا الطريق ... وسأل نفسه هل هي خالية؟

كانت الإجابة على هذا السؤال بسيطة جدًّا ... نزل وذهب ودق جرس الباب وسمع الجرس وهو يرن داخل الشقة المُظلِمة ... ولم يتلقَّ إجابة ... فالشقة خالية إذن وقد يكون الولد موجودًا بها ... إما مُخدَّرًا أو مُكمَّمًا، ويمكن إنقاذه ... وعاد إلى الشُّرفة وأخذ ينتظر لحظة مناسبة ثم قفز ودفع المِصراع بيده فانفتح ... وتوقف لحظات مكانه ونظر حوله حتى حانت فرصة أخرى ثم قفز فتعلق بالإفريز البارز ... واستجمع كل ما يملك من قوة ورفع جسمه إلى أعلى ثم تجاوز السور وقفز إلى الداخل! وقف حائرًا متتابع الأنفاس يفكر، ثم أخرج مصباحه الصغير وأخذ يُطلقه في أنحاء الشقة ... كان كل شيءٍ فيها يدلُّ على أن من كانوا بها غادروها مسرعين. ووجد بجوار باب الحمام ثلاثة «مايوهات» وفي الحمام ذاته وجد مايوهًا صغيرًا، وفكر أنه ربما يكون للولد.

وسمع في هذه اللحظة ما يُشبه الدق على الباب، فأطفأ مصباحه وتوقف مكانه وأخذ ينصت ... وعاد الدق من جديد ... وغمره العرق ... ثم تذكر «زنجر» ولم يملك نفسه من السَّخط عليه ... وأسرع فوقف بجوار الباب واستمع ... لم يكن هناك أحد ففتح الباب واندفع «زنجر» داخلًا.

أغلق «تختخ» الباب ومضى يبحث في الشقة على ضوء المصباح ... كانت هناك حقيبتان خاليتان إلا من مِنديل مُتَّسخ ... وعلى المائدة بقايا طعام ... جُبن وزيتون وعُلبة سردين وخُبز وفِجل ... وعُلبة سجاير أجنبية بها سيجارة ... وكيس نظَّارة وفتَّش باقي الغُرف ... لم يكن هناك أحد ... لقد أفلت الرجال ومعهم الولد ... وفي الأغلب أنهم لم يقيموا في الشقة أكثر من بضع ساعات ثم غادروها ... ومعنى هذا أنهم فقدوا أثرهم إلى الأبد ...

ووجد كيسًا من الورق وضع به المايوهات الأربعة ... وعلبة السجاير وكيس النظارة وبعض أعقاب السجاير التي وجدها ... إنها قد تصلح كأدلَّة ... وعندما استعد لمغادرة المكان دقَّ في الصمت جرس التليفون ... وأطلق «تختخ» شعاع مصباحه الصغير ناحية الجهاز الذي لم يره قبلًا ... وكان الجرس يدق بإلحاح ... دقًّا طويلًا مُتواصلًا، وهذا دليل على أنها مكالمة خارجية ... ولم يتردد ... مد يده ورفع سماعة التليفون، وسمع عاملة الترنك تقول: ٦٧٥ على ٥٠٠٠٠؟

رد «تختخ»: نعم!

قالت العاملة: ٨٥٥٥٧٧ القاهرة معك.

وسمع «تختخ» صوتًا خشنًا يقول: من أنت؟

وتذكر «تختخ» اسم «الحنش» فقال محاولًا تقليد صوت رجل: أنا «الحَنَش».

قال «الرجل»: صوتك متغير.

رد «تختخ» وهو يتظاهر بالسعال: أُصبت ببرد هذا الصباح!

الرجل: لماذا تأخرتم حتى الآن؟

تختخ: لقد طلبناك منذ ساعات ... ولكن هناك عُطل في الخط.

الرجل: هل هناك أي مشاكل؟

تختخ: لا!

الرجل: أسرعوا بالحضور ... هل الولد معكم؟

تختخ: نعم!

الرجل: عظيم ... أنا في انتظاركم ... لا تتأخروا أكثر من هذا ... السيارة مُعَدة في الجراج حسب اتفاقنا.

تختخ: اتفقنا!

ووضع الرجل السماعة ... ووقف «تختخ» مكانه يفكر ... من الواضح أن الرجال عند وصولهم طلبوا مكالمة تليفونية مع هذا الرجل ... ولكن وجود عُطل في خطوط التليفون أخَّر المكالَمة كما تأخرت مكالمة والد «محب» و«نوسة» ... لقد حصل على معلومات هامة: رقم التليفون الذي حصَرَه في ذهنه ٨٥٥٥٧٧ ... وصوت الرجل ... ولكن فجأة اكتشف أن هذه المكالمة برغم فائدتها لهم ... فيها تحذير للعصابة ... فسوف يصل الرجال الثلاثة ومعهم الولد إلى مقر العصابة وسيعرفون أن شخصًا دخل شقة «أبو قير» وعرف أسرارهم ومن الضروري أنهم سيُغيرون مكانهم ...

عاد ينظر إلى مائدة الطعام مرةً أخرى ... ووضع يده على الخُبز ... فما زال الخبز طازجًا وكذلك الفِجل، ومعنى هذا أنهم غادروا الشقة قبل أن يأتي بقليل وهم الآن في طريقهم إلى القاهرة ... فهل يتمكنون من الوصول إليهم ...

واتجه إلى الباب وبيده كيس الورق وبه ما جمعه من مخلَّفات العصابة ... ووقف خلف الباب لحظات ... وعندما مدَّ يده ليفتح الباب سمع صوت أقدام تتوقف أمام الباب وسمع صوتًا يقول: لقد غادروا الشقة ونسوا باب الشُّرفة مفتوحًا.

زنجر في الوقت المناسب ...

تسمَّرت قَدما «تختخ» في مكانه ... كانت مفاجأةً غير متوقعة ... وسمع مفتاحًا يدور في قِفل الباب، وأدرك أنَّ شخصًا أو أكثر سيدخلون، وأسرع يبحث عن مكان للاختباء ... وخلفه «زنجر» وقد شعرا بالمأزق الذي تعرَّضا له.

دخل أول باب صادفه ... كانت غرفة نوم، وأسرع يختفي خلف الباب ... ومعه «زنجر» الذي قَبع هادئًا تحت قدميه ... وسمع «تختخ» وقْع أقدام في الصالة ... وسمع شخصان يتحدَّثان قال أحدهما: هل نقضي الليلة هنا؟

رد الرجل الآخر: لا ... إني مُرتبط بموعد في محطة الرمل بعد ساعة وسوف أنصرف بعد قليل!

وسمع «تختخ» أقدامهما تتحرك في الصالة وتقترب من غرفة النوم وسمع ضحكة واحد منهما يقول: إن «الحنش» مستعجل جدًّا حتى إنه ترك النافذة مفتوحة!

ردَّ الآخر: لقد مرَّ كل شيءٍ ببساطة ... ولم يَلتفِت أحد إلى حضورهم وانصرافهم.

الأول: لقد انتهَت مهمَّتنا عند هذا الحد.

الثاني: بالطبع ... وسننتظر عودة «الحنش» بالنقود؛ فإن الرجل الكبير لن يدفع إلا بعد أن يتسلَّم الولد.

الأول: أرجو أن يَظل حيًّا حتى يتسلمه؛ فقد كانت جُرعة المُخدر كبيرة، وأخشى أن يموت في الطريق!

خفق قلب «تختخ» وهو يَسمع هذا الحوار ... إن الولد الصغير «م.ح» في خطر، وقد يموت بين أيدي هؤلاء المجرمين ... لو استطاع الخروج الآن ربما استطاع أن يفعل شيئًا.

ساد الصمت لحظات ثم قال أحدهما: لقد أخذ «الحنش» المايوهات معه.

لم يردَّ الآخر فترة قصيرة، ثم قال: لا أظن ... فإني أذكر أنها كانت موجودة بعد خروجِه.

أدرك «تختخ» أن الدائرة تضيق عليه، وأن الرجُلَين قد يبحثان في الشقة وقد حدث ما توقعه فقد قال الأول: لعلها في الحمَّام.

وسمع صوت أقدام تتحرَّك في الصالة ... وازداد توتر أعصابه ... وخفقت أصوات الأقدام لحظات ثم عادت من جديد وقال الرجل: إنها ليست موجودة في الحمَّام لا بد أنه أخذها معه.

عاد الصمت من جديد ... وارتفع صوت دقات قلب «تختخ» حتى ظنَّ أنه يصل إلى الرجلين في الصالة ... وفكر أنه لا بد أن يستعدَّ لاحتمال دخول أحدهما الغرفة ... وقد حدَث ذلك بأسرع مما توقَّع ... فقد تقدم أحدهما من الغرفة وهو يقول: سأجمع حاجياتي وأنصرف. تقدم الرجل حتى أصبح على الباب ... وخطا خطوة أخرى وأصبحت قدمه داخل الغرفة وفي هذه اللحظة دفع «تختخ» الباب بكل قوته فأصاب الرجل بضربة عنيفة في وجهه فسقط بعدها على الأرض وهو يطلق آهة طويلة ... وقفز «تختخ» خارجًا واندفع «زنجر» خلفه ... كان الرجل الثاني يقف في وسط الصالة مذهولًا لا يدري ما حدث ... واندفع «تختخ» نحو الباب ... ثم اندفع «زنجر» ناحية الرجل وقفز عليه نابحًا ...

فتح «تختخ» الباب وقفز خارجًا وأطلق ساقيه للريح ... كان يعرف أن «زنجر» سيتصرَّف، وفعلًا ... ما كاد ينحرف في أول شارع قابله حتى كان «زنجر» في أعقابه يُطلِق نباحًا خفيفًا.

لم يكد «تختخ» يصل إلى الشارع حتى توقف عن الجري، وسار بهدوء وهو يلهث غير مُصدِّق أنه نجا بهذه البساطة ... ومشى بخطوات نشيطة حتى إذا اقترب من فيلا السيدة «كريمة». شاهد الأصدقاء خارجين ... وصاحت «لوزة» عندما رأته: «تختخ» ... لماذا تأخَّرت؟

ابتسم «تختخ» وقال: مُرغمًا طبعًا، وإلا لما عُدتُ على الإطلاق!

لوزة: ماذا حدث؟

تختخ: إنها قصة مثيرة ... سوف أرويها لكم.

عاطف: وما هذا الذي تحمله؟ هل اشتريتَ لنا شيئًا؟

تختخ: نعم ... اشتريت لكم بعض الأدلة الهامة!

ولاحظ «تختخ» أن «محب» لم يَعد بعد فسأل عنه «نوسة» فقالت: لقد اتصل بنا تليفونيًّا، وقال إن هناك صفًّا طويلًا من راغبي الحجز في القطار ويشُكُّ أنه سيستطيع الحجز.

تختخ: لعل هذا أفضل، فإنني أفكر أن نُسافر الليلة؟

«لوزة»: الليلة … كيف؟

تختخ: إن الولد الصغير المخطوف في خطر … فهو تحت تأثير مُخدِّر قوي، وقد سمعت من أحد أفراد العصابة، أنه قد يموت.

صمت المغامرون ولكن «لوزة» عادت تقول: سمعت ذلك من أحد أفراد العصابة؟ هل قابلتهم؟ هل ما زال الولد هنا؟ وكيف نسافر؟

كانت الكلمات والأسئلة تخرج من فم «لوزة» كالمدفع الرشاش … فقال «تختخ»: على مهلك يا «لوزة» … إن الولد قد نُقل إلى القاهرة … وقد استمعت إلى مكالمة تليفونية مؤكدة هذه المعلومات.

بدت الدهشة على وجوه الأصدقاء، وقَبل أن يواصل «تختخ» حديثه ظهر «محب» وقد بدت خيبة الأمل على وجهه … وأعلن إخفاقه في حجز أماكن في القطار …

وعاد الأصدقاء إلى الفيلا … وكانت السيدة «كريمة» قد أوت إلى فراشها، فقد اعتادت أن تنام مبكرًا، ولم يبقَ ساهرًا سوى الشغالة التي أسرعت تضع لهم العَشاء.

فتح «تختخ» كيس الورق وأخرج الأشياء التي أحضرها … وأخذت عيون المغامرين تَرمق المايوهات وبقايا السجاير … وبقية الأشياء في ذهول … وقال «تختخ»: هذه بعض أدلة عن رجال العصابة!

نوسة: لقد أَثرتَ فضولنا يا «تختخ» … تحدَّث من فضلك.

نظر «تختخ» ناحية الطعام وقال: أظن من الأفضل أن أتحدث وأنا آكل بدلًا من أن أتحدث وأنا أفكر في الطعام.

وجلس الجميع حول المائدة، وأخذ «تختخ» يروي ما حدث له خلال المساء … وهو يقطع حديثه بين آونة وأخرى بلُقمة ضخمة يحشو بها فمه … وكان جميع المغامرين مشغولين بالاستماع إليه … وهو مشغول بالطعام.

وعندما انتهى من طعامه وشرب كوبًا من الماء البارد قال: لهذا أقترح أن نسافر الليلة.

عاطف: أليس من الممكن إبلاغ الشرطة الآن … مع وجود هذين الرجلين في الشقة؟

تختخ: إنهما بالطبع ليسا في الشقة الآن. أكثر من هذا أننا في الغالب سنفقد أثر العصابة في القاهرة … فسوف يصل «الحنش» ومَن معه وسيعرف الرجل الكبير، وهو

بالطبع زعيم العصابة، أن شخصًا من غير رجاله قد ردَّ على المُكالمة التليفونية، وأنَّ هناك من يعلم ما يفعلونه.

محب: وماذا نفعل؟

تختخ: ليس إلَّا إبلاغ المفتش «سامي» برقم تليفون ٨٥٥٥٧٧ وبتتبُّع التليفون سيعرف مكان العِصابة، وقد يتمكَّن من عمل شيء في الوقت المناسب.

نوسة: لقد نسيت والد المخطوف ... إنه أيضًا قد يكون دليلًا يؤدي إلى معرفة شيء عن العصابة؟

تختخ: هذا سيتوقف على ما ستفعله العصابة الليلة أو غدًا، هل ستتَّصل بوالد المخطوف أو تنتظر لترى تطوُّرات الأمور بعد أن عرفت أن هناك من يَعرف سِرها.

لوزة: إذن نُسافر الليلة.

تختخ: نعم ... ومِن حُسن الحظ أنَّ السيدة «كريمة» قد نامت وإلا لما سَمحت لنا بالسفر ... سنترك لها رسالة شُكر ... ونُسافر ... وخاصة أنها تعلم أن «محب» و«نوسة» لابد أن يُسافرا غدًا ... إن هذا خطأ طبعًا، ولكن هذا ما يمكننا عمله!

محب: إذن هيا بنا نجهز حقائبنا.

وقام الجميع ... وفي صمت ودون إحداث أي ضجيج جمعوا حاجاتهم، وحزموا حقائبهم أمام دهشة الشغالة ... ثم جلس «محب» وكتب سطورًا رقيقة شاكرًا للسيدة «كريمة» ضيافتها لهم ... ثم خرجوا.

استوقفوا أول تاكسي قابلهم ... وطلبوا منه التوجه إلى محطة سيارات القاهرة في ميدان المنشية بالإسكندرية ... ومضَت السيارة تَقطع الطريق بين «أبو قير» و«الإسكندرية»، وقد استسلم كل من المغامرين إلى خواطره.

وصل التاكسي إلى «الإسكندرية» ... وكان على المُغامرين الخمسة أن يجدوا سيارة خاصَّة فهم خمسة ومعهم «زنجر» وحقائبهم ... وتركهم «تختخ» ومضى يبحث وفجأة حدث شيء من سلسلة مفاجآت هذا اليوم ... لقد قابل السائق «وجيه» صاحب السيارة «المرسيدس» والذي سبَق أن ركبوا معه في «لغز الشيء المجهول» ومغامرة أخرى ... وسُرعان ما تصافحا بحرارة وقال وجيه باسمًا: فرصة سعيدة يا أستاذ «توفيق» أن أراك ... ماذا تفعل هنا؟

تختخ: إننا نُريدك ... فنحن جميعًا نريد أن نسافر إلى القاهرة فورًا.

وجيه: هل هي مغامرة جديدة؟

ابتسم «تختخ» قائلًا: تقريبًا.

وجيه: إنني رهنُ إشارتكم ... ولكن السيارات هنا بالدور وسأذهب لمُحاولة الحصول على إذن الخروج من «الإسكندرية» وقد أتأخَّر قليلًا.

تختخ: لا بأس ... سوف ننتظرك.

وجيه: هذه هي مفاتيح السيارة ... فاركبوا حتى حضوري.

وأسرع «تختخ» يستدعي الأصدقاء ويحكي لهم هذه المفاجأة المُفرحة ... فقد كانوا جميعًا يحبون هذا السائق الخَشِن المظهر ... الطيب القلب ... الشجاع ... الماهر الذي شاركهم في مغامرتين من قبل.

ووضع الأصدقاء الحقائب، وذهب «تختخ» لشراء بعض اللب والفول السوداني للتسلية في الطريق ... ولم يكد يخطو للأمام خطوة واحدة حتى كانت هناك مفاجأة أخرى في انتظاره ... مفاجأة لم يتوقعها مطلقًا ... شاهد الرجل الذي هجم عليه «زنجر» في الشقة واقفًا مع زميله ... كان زميله يضع شاشًا وقطنًا على وجهه ... ولم يشكَّ «تختخ» لحظة أن هذا نتيجة خبطة الباب القوية التي نزلت على وجهِه ... استدار «تختخ» سريعًا فلو رآه الرجل الذي هاجمه «زنجر» لعرفه على الفور.

كان الرجلان يقفان بجانب إحدى السيارات ويتحدثان مع السائق طالبين منه توصيلهما إلى «القاهرة» بأسرع ما يمكن.

وسمع «تختخ» السائق يقول لهما: لا بد من الدور.

الرجل: سنَدفع لك ما تشاء.

السائق: سأحاول فانتظراني في السيارة.

وركب الرجلان وتسلَّل «تختخ» مبتعدًا، ولكنه لم ينسَ أن يشتري اللب والفول وعاد سريعًا إلى المغامرين ... كان «وجيه» قد عاد أيضًا ضاحكًا لأنه حصل على الإذن وهو على استعداد للانطلاق فورًا ... ولكن «تختخ» الذي ركب بجواره قال له: هل أنت على استعدادٍ لأن تُؤدِّي لنا خدمة؟

وجيه: طبعًا ... ألسنا أصدقاء.

قال «تختخ» وهو يُشير إلى السيارة التي ركبها الرجلان: أريدك أن تتبع هذه السيارة دون أن يحس ركابها.

محاولة ... ولكن ...

تحركت السيارة التي كان يستقلها الرجلان ... وكانت من طراز «بيجو ٤٠٤» وبعد لحظات دارت سيارة «وجيه» المرسيدس ٢٠٠، وانطلقَت خلفها ... ومضت السيارتان تشقان شوارع الإسكندرية نصف المزدحمة ... ثم سرعان ما غادرتا المدينة الجميلة إلى الطريق الزراعي ... وأطلق سائق السيارة الأولى لها العنان ... وخلفها مضت «المرسيدس» تهدر على مبعدة.

وبين قزقزة اللب والفول قال «وجيه» موجهًا حديثه إلى «تختخ»: ما هي الحكاية هذه المرة؟

قال «تختخ»: ولد مخطوف!

وجيه: ولماذا لا تُبلغون رجال الشرطة!

تختخ: ليست عندنا أدلة كافية ... فالحكاية مُعقَّدة.

انتهز «عاطف» الفرصة ليقول: إن الدليل الوحيد في القضية أكلتْه مِعزة.

وضحك الجميع، وانزلقت السيارة على أسفلت الطريق الناعم ... الذي بدا في هذه الساعة من الليل خاليًا إلا من بضع سيارات بين الحين والحين ... وساد الصمت إلا مِن صوت مُحرِّك السيارة القوي المنتظم الذي يشقُّ السكون ... ويزيد كلما غيَّر «وجيه» من السرعة ... ثم يعود إلى رتابته ... وبدأ المغامرون يستسلمون للنوم ... «لوزة» ثم «نوسة» ... وقاوم «عاطف» قليلًا ثم أغمض عينيه ... فقد كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل ... وكان للهواء البارد وصوت المُحرِّك المُنتظر أثرهما في الأصدقاء ... ولم يبقَ ساهرًا بعد فترة أخرى إلا السائق «وجيه»، و«تختخ» وقال «وجيه»: ماذا نفعل عندما نصل إلى «القاهرة» ... فلم يبقَ إلا نحو ستين كيلومترًا؟

تختخ: سنَتتبَّع السيارة داخل القاهرة … إنني أريد أن أعرف مقر العِصابة.

وجيه: إنك لم تحكِ لي هذه المغامرة.

تختخ: الحكاية بدأت بزجاجة صفراء تعوم وتكاد تغرق في مياه «أبو قير»، وأصرت «لوزة» أن تحصل عليها … وعندما استطعنا الوصول إليها وجدنا أن بها قطعة ورق سابحة في المياه التي دخلتها … فلم تكن سدادتها مُحكَمة.

وجيه: ومِن هذه الرسالة بدأت المغامرة.

تختخ: بالضبط … فقد اتضح أن كاتبها ولد صغير خطفته عصابة من «بيروت» وعادت به إلى القاهرة لتُهدِّد والده الموظف في أحد البنوك.

وجيه: أي بنك؟

تختخ: لا نعرف حتى الآن …

ومضى «تختخ» يروي القصة لـ «وجيه» الذي كان يَستمِع بشغف، وهو لا يكاد يُصدِّق التفاصيل الغريبة التي كان يَرويها له «تختخ»، وقال «وجيه» في النهاية: إنها قصة مُشوِّقة حقًّا وإنني الآن أتمنى أن أشارككم العمل من أجل إنقاذ هذا الولد.

تختخ: سنرى عندما نصل إلى «القاهرة» ما يُمكن عمله.

وساد الصمت من جديد، ومضت السيارة «المرسيدس» القوية تتبع على مَبعدة السيارة «البيجو» حتى وصلت السيارتان إلى مشارف القاهرة … ونظر «تختخ» إلى ساعته، كانت الثالثة إلا خمس دقائق … وأخذ يَصيح في المغامرين الذين استيقظوا على الفور …

ومضت السيارتان إلى الكورنيش … ثم دخلت السيارة «البيجو» إلى مدخل كوبري «إمبابة» وكانت السيارات الضخمة المحمَّلة بالخضار والفاكهة تعبر الكوبري في طريقها إلى سوق الخضار أو خارجة منه … وعندما وصلت «المرسيدس» إلى مدخل الكوبري كان أمامها عربة خضار يجرُّها حصان … تسير ببطء … بينما كانت «البيجو» قد وصلت إلى منتصف الكوبري.

أدرك المغامرون أنهم سيفقدون أثر «البيجو» وأن لا حيلة لهم في هذا الموقف. لقد دخلوا ممر السيارات في الكوبري … أمامهم العربة الكارو … وأمامهم سيارتان من سيارات النقل … وخلفهم عشرات السيارات ولا يُمكنهم التقدم أو العودة، وأحس «تختخ» بالضيق … وفكر أن ينزل ويلحق «بالبيجو» سيرًا على الأقدام … ولكن ذلك لم يكن يؤدِّي إلى شيءٍ.

مضت السيارات وعربات الكارو تتحرك ببطء فوق كوبري «إمبابة» ... حتى إذا وصلت «المرسيدس» إلى نهاية الكوبري ... لم يكن هناك أثر للسيارة البيجو على الإطلاق وقال «وجيه»: آسف جدًّا ... لم يكن أمامي ما أفعله!

تختخ: نحن نعرف أنك بذلت ما بوسعِك وكل ما نرجوه أن نعود إلى منازلنا.

وأدار «وجيه» السيارة إلى شارع «السودان»، ثم شارع «أحمد عرابي» وانطلق مسرعًا في طريقه إلى كوبري «الجامعة» واجتازه إلى «مصر القديمة» ثم «المعادي» وأشرفت السيارة في النهاية على منازل الأصدقاء ... وقال «تختخ»: ليس أمامَنا إلَّا النوم لبضع ساعات وسنرى في الصباح ما يمكن عمله.

وشَكر المُغامرون «وجيه» كثيرًا، وبالكرم المصري المشهور رفض «وجيه» أن يتقاضى منهم أجرَه إلا بعد إلحاح شديد ... ثم أعطاهم رقم تليفون البقال المجاور لمنزله حتى إذا احتاجوا إليه جاءهم ... فقد كان شديد الرغبة في معرفة ما ستتطور إليه قضية الزجاجة الصفراء.

وعندما استيقظ الأصدقاء في اليوم التالي ... كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد الظهر فأسرعوا جميعًا واتصل بعضهم ببعض ... وسرعان ما كانوا يجتمعون في حديقة منزل «عاطف» كالمعتاد ... وكان أول سؤال وجهه «تختخ» إلى «محب» عن صحة والدته فقال «محب» إنها ما تزال مُتْعَبة ... ولكنها تتحسن بسرعة ... وقد تخلفت «نوسة» لتبقى بجانبها.

عاطف: وأنت أيضًا يا «محب» يجب أن تذهب ... إن والدتك محتاجة إليك بعد سفر والدك وهي أهم من كل شيءٍ آخر.

وانضمَّ «تختخ» و«لوزة» إلى «عاطف» في هذا الرأي فغادرهم «محب» عائدًا وقد وعده الأصدقاء أن يتصلوا به في حالة وقوع أي شيءٍ جديدٍ.

وجلس الثلاثة يتحدثون ... وطلب «تختخ» من «لوزة» أن تُحضِر التليفون ليتصل بالمفتش «سامي» وسرعان ما كان المفتش يرد، قال «تختخ»: عندنا قضية عجيبة ... هل تحب أن تسمعها؟

قال «المفتش» مقاطعًا: إنَّ كل قضاياكم عجيبة ... وأنا على استعداد طبعًا لسماعها.

وأخذ «تختخ» يروي للمفتش ما حدث في «الإسكندرية» في اليوم السابق ... والمفتش يدون المعلومات أمامه حتى إذا انتهى «تختخ» من حديثه قال المفتش: إن عندنا دليلَين الآن: رقم التليفون ووالد الطفل المخطوف.

تختخ: هذا صحيح!

المفتش: إن معرفة المكان المركَّب به التليفون ليس مشكلة ... ولكن العثور على هذا الأب هو المشكلة ... ومع ذلك سنقوم فورًا ببحث الموضوع كله.

تختخ: إنك بالطبع لن تنسانا!

المفتش: لا ... إنكم أنتم الذين عثرتم على الرسالة ... وتابعتم الموضوع ... ومن حقكم أن تعرفوا ماذا يحدث بعد ذلك.

كانت «لوزة» تُشير إلى «تختخ» طول الوقت محاولة أن تلفت نظره إلى شيءٍ دون أن يُدرك ماذا تريد ... وعندما كاد يضع السماعة صاحت «لوزة» انتظر قليلًا، وقال «تختخ» للمفتش إن «لوزة» تريد أن تقول شيئًا ... لحظة واحدة من فضلك.

قالت «لوزة»: لقد نسينا شيئًا هامًّا ... إن الرجل والد «م.ح» سبق أن أبلغ الشرطة ألا تذكر ما كان في الرسالة.

تختخ: وماذا يعني هذا؟

لوزة: يُمكن المفتش بالاطلاع على مَحَاضِر أقسام الشرطة معرفة المكان ... وبخاصة في منطقة «الزمالك» و«العجوزة».

تختخ: ولماذا هاتان المنطقتان؟

لوزة: ألا تذكر رقم التليفون الذي كان في نهاية الرسالة؟

تختخ: ولكنه كان ناقصًا.

لوزة: ولكن بدايته كانت (٨١) وهي بداية أرقام في منطقتي «الزمالك» و«العجوزة».

تختخ: معك حق.

ورفع سماعة التليفون وقال معتذرًا: آسف جدًّا يا سيادة المفتش ... «لوزة» معها حق ... إن هناك وسيلة سريعة للتعرف على والد الولد المخطوف.

المفتش: إن «لوزة» عندها دائمًا أفكار مُثيرة.

تختخ: لقد نسيت أن أقول لك إن والد الولد المخطوف سبق أن أبلغ الشرطة عند تهديده بخطف ولده، ولكنَّ الشرطة لم تَستطِع إثبات جدية التهديد ... ويَغلب على الظن أنهم حفظوا البلاغ.

المفتش: أليس هناك تاريخ؟

تختخ: لا ... ولكن الأغلب أن البلاغ كان لشرطة «الزمالك» أو«العجوزة» وربما «إمبابة» أيضًا ... فإن «لوزة» تذكر أن الولد طلب الاتصال بوالده في رقم تليفون يبدأ برقم (٨١) وكما تعلم أنها أرقام هذه المناطق.

المفتش: بَلِّغ «لوزة» تهانيَّ على هذا الإيضاح الهام ... فسوف نستطيع عن طريقه معرفة مكان الأب، وذلك سيُسهِّل لنا الكثير.

ووضع المفتش السماعة بعد أن اتفق مع «تختخ» على إبلاغه بكل التطورات أولًا بأول ... وجلس المغامرون يستريحون. ولكن «لوزة» لم تتركهم وشأنهم بل مضت تقول: هل أحضرتَ كيس الأدلة يا «تختخ»؟

تختخ: نعم ...

لوزة: هات الأدلة لفحصها، قد نصل عن طريقها إلى شيء.

وأخذ «تختخ» يُخرج الأدلة ... المايوهات الأربعة ... عُلبة السجاير وبعض الأعقاب وكيس النظارة.

وأخذوا يفحصون الأدلة فترة، وقال «عاطف»: إن مايوه الولد يُمكن استخدامه.

تختخ: كيف؟

عاطف: لو شمَّه «زنجر» لاستطاع أن يصلَ إلى الولد سريعًا؛ فقد ظل ملتصقًا بجسمه فترة طويلة ... ومن المؤكَّد أن رائحته ما زالت عالقة به.

تختخ: معقول ... ولكن من غير المعقول أن نطلب من «زنجر» أن يبحث في القاهرة كلها عن الولد ... لا بد من تحديد مكان معين له.

لوزة: لو عَثر المفتِّش على شقة العصابة بواسطة رقم التليفون ... لكانت بداية طيبة لـ «زنجر».

تختخ: أُرجِّح أنهم غيَّروا مكانهم منذ المكالمة التليفونية التي تمت بيني وبينهم فسوف يعرفون أن شخصًا ليس منهم هو الذي ردَّ على المكالمة ... وسيسرعون إلى تغيير مكانهم قبل الاستدلال عليه بواسطة رقم التليفون.

ساد الصمت لحظات ثم قال «تختخ» ألا يجب أن نزور والدة «محب» و«نوسة»؟

احمر وجه «لوزة» وقالت: كيف نسينا هذا الواجب!

تختخ: سنذهب لشراء باقة ورد للسيدة، ثم نتجه إلى المنزل!

لوزة: ولكن المفتش قد يتَّصل في أي لحظة.

تختخ: إذن يبقى عاطف، وسأذهب أنا وأنتِ للزيارة ثم نعود فورًا.

عاطف: أرجو أن تَعتذِرا عني.

تختخ: بالطبع ... هيا بنا يا «لوزة».

انصرف «تختخ» و«لوزة» وبقي «زنجر» مع «عاطف» حسب تعليمات «تختخ»، ولم يكد المغامران يبتعدان حتى رن جرس التليفون ورفع «عاطف» السماعة في لهفة وعلى الطرف الآخر سمع صوت المُفتِّش يقول: هالو ...«توفيق»!

قال «عاطف»: إن «توفيق» في منزل «محب» يا حضرة المفتش ... هل هناك أخبار جديدة؟

قلوب الأمهات

قال المفتش: كمية هائلة من الأخبار ... إن التليفون موجود في فيلا بشارع «السودان» في «إمبابة» ... والأب هو الأستاذ «عبد الجليل حسني» ... ويسكن في عمارات الإعلام عند مسرح البالون.

عاطف: إن المكانين يَقترب أحدهما من الآخر.

المفتش: هذا صحيح ... وقد أرسلنا في طلب الأستاذ «عبد الجليل» ... وسأقوم الآن على رأس قوة لمداهمة الفيلا.

عاطف: كنا نُريد أن نكون معك.

المفتش: لقد قمتم بواجبكم حتى الآن ... والمعلومات صحيحة ... فدعوا الباقي لرجال الشرطة وسنُبلغكم بالنتيجة.

لم يجد «عاطف» ما يقوله فشكر للمُفتش الاتصال، ثم وضع السماعة، وأسرع يلحق بـ «تختخ» و«لوزة» واستطاع أن يصل إليهما وهما عند بائع الورد وروى لـ «تختخ» تفاصيل المكالمة التليفونية التي دارت بينه وبين المفتِّش ... واستمع «تختخ» و«لوزة» بانتباه إلى الأنباء، ثم قال «تختخ»: ألم تعرف منه عنوان الفيلا؟

عاطف: لا ... كل ما أعرف أنها في شارع السودان.

تختخ: كان من المهم أن تعرف العنوان ... على كل حالٍ سوف نُعاود الاتصال به من منزل «محب» بعد أن نطمئن على والدته ...

وصعدوا إلى المنزل واستقبلهم «محب» مُرحِّبًا، فقال «تختخ»: هل نستطيع زيارة الوالدة؟

محب: طبعًا، إنها ستَسعد كثيرًا بكم ... وقد اشتريتم لها نوع الورد الذي تحبه، واتجه الأصدقاء جميعًا إلى غرفة السيدة العزيزة والدة «محب»، وتقدَّمت منها «لوزة» ووضعت

الورد بين يديها ... ثم قبَّلتها ... وابتسمت السيدة وقالت: كانت مفاجأة جميلة وصولكم أمس ليلًا ... لم نتوقع أبدًا أنكم سَتحضرون بهذه السرعة.

وتبادل الأصدقاء النظرات ... وتنحنح «عاطف» وقال: لقد كان مرضُكِ السبب الأول بالطبع في حضورنا ... ولكن هناك أسباب أخرى.

ابتسمت السيدة وقالت: أي أسباب؟ مغامرات وألغاز!

ضحك «عاطف» وقال: نعم ... شيء مؤثِّر جدًّا ... خَطف ولد.

بدا الاهتمام على وجه السيدة وقالت: خطف ولد؟ ابن مَنْ هذا؟

ردَّ «عاطف»: علمنا الآن فقط أنه ابن رجل يُدعى الأستاذ «عبد الجليل حسني»، ويُقيم في عمارات ... وقبل أن يُكمل «عاطف» جُملته قالت السيدة: عمارات الإعلام بجوار مسرح البالون.

بدت الدهشة على وجوه المغامرين وقال «تختخ» كيف عرفتِ يا عمتي؟

ردَّت «السيدة»: إن زوجة الأستاذ «عبد الجليل» كانت زميلتي في الجامعة ... و«محسن» هو ولدها الوحيد. هل خُطف؟

ارتبك الأصدقاء أمام هذه المعلومات ... فلم يكن في تصورهم أن تصل الصُّدفة إلى هذا الحد، ومضت السيدة تقول: وقد بدا عليها الذعر: «محسن» ... خُطف؟ إنه في بيروت!

تختخ: تمامًا ... إنه كان في بيروت، حتى أمس الأول ... ولكنه الآن في «القاهرة» خطفتْه عصابة لتُهدِّد والده.

السيدة: تُهدده ... لماذا؟

تختخ: إنهم يطلبون منه مفاتيح خزينة البنك الذي يعمل به لسرقتها.

السيدة: تمامًا ... لقد تذكرت الآن، فقد سبق أن حدث هذا، ولإبعاده عن هذه العصابة فقد أرسله والده عند عمه الأستاذ بجامعة «بيروت». وقد كان الوالدان قلقَين عليه بعد الحوادث الأخيرة في لبنان، ولكن حتى أسبوع مضى كانت الأخبار بالنسبة له مُطمئنة. والتفتت السيدة إلى «محب» وقالت: هات التليفون يا «محب»!

محب: ماذا ستفعلين يا أمي؟

السيدة: سأتَّصل بوالدته ... أليس من حقها ومن حق والده أن يعلما ما حدث لابنهما.

زاد ارتباك المغامرين ... فالأحداث تتوالى سريعًا ... وأسرع «محب» يحضر التليفون لوالدته التي أدارت الرقم. استمعت إلى مَن يردُّ وسمعَها الأصدقاء تقول: هل هناك أخبار عن «محسن»؟

واستمعت قليلًا ثم بدأت الدموع تتجمَّع في عينَيها ... ومضت فترة وهي تستمع ثم قالت: اسمعي يا «إلهام» إن «محسن» في «القاهرة»!

واستمعت ... والأصدقاء يُركزون أنظارهم عليها ثم قالت: لا ... لم يحدث أي شيء في «بيروت» ... إنه في «القاهرة» ... ألم يتَّصل بكم أحد بشأنه؟

واستمعت لحظات ثم مضت تقول: إنها حكاية طويلة ... اطمئنِّي يا «إلهام» ... سيعود لكِ «مُحسن» وسأتصل بكِ مرةً أخرى.

ووضعت الأم السماعة، والتفتت إلى الأصدقاء وقالت: لقد اتصل عم «محسن» من «بيروت» وقال إنه اختفى منذ ثلاثة أيام ... وقد ظن الوالدان أن ابنهما فُقدَ في أعمال العنف التي وقعت في «بيروت» مؤخرًا، وسافر والده أمس إلى «بيروت» لهذا السبب.

ساد الصمت ثم مضت السيدة تقول: والآن ما هي القصة كاملة ... إني أريد أن أُطمئن «إلهام» على أخبار ولدها.

تختخ: الحقيقة أن الأخبار ليست مُطمئنة. وإن كنا نرجو أن تَنتهيَ الحكاية على خير.

الأم: ما هي الحكاية؟

أخذ «تختخ» يروي لها تفاصيل القصة ... دون أن يتعرَّض لمغامراته في شقة «أبو قير» حتى لا تَنزعِج السيدة ... حتى إذا انتهى منها قالت أم «محب»: اتصلوا إذن بالمفتِّش فورًا ... إنني أريد أن أُطمئن «إلهام».

تختخ: لا فائدة من الاتصال به الآن ... لقد نزل على رأس حملة لمهاجمة الشقة.

السيدة: حاوِلُوا على كلِّ حالٍ.

أمسك «تختخ» بسماعة التليفون، ثم أدار رقم المفتش ... وأخذ الجرس يرن فترة ثم ردَّ شخصٌ قائلًا: مكتب المفتش «سامي» ... أفندم.

تختخ: من فضلك هل المفتش موجود؟

الرجل: لا ... لقد ذهب في مُهمة ... أي خدمة يا أستاذ!

تختخ: عندما يعود اطلُب إليه أن يتصل بـ «محب»!

الرجل: هل يعرف رقم التليفون؟

تختخ: نعم ...

ووضع «تختخ» السمَّاعة ... وعرف الجميع أن المُفتِّش ليس موجودًا ... وساد نوع من الصمت المتوتر ... وأحسَّ «عاطف» بالندم لأنه ساق هذه الأنباء السيئة إلى السيدة المريضة، وأعلن عن اعتذاره قائلًا: آسف جدًّا لأني قُلت لكِ هذه الأنباء السيئة.

قالت السيدة: على العكس ... لقد كنتُ مُتضايقة من السكون وعدم الحركة ... أما الآن فسوف ألبس ثيابي وأذهب إلى «إلهام» ... لا بد أن أكون بجوارها في هذه الساعات المؤلمة ... إنه وحيدها وهي تحبه أكثر من أي شيءٍ آخر في العالم.

قالت «نوسة» مُعترِضة: ولكن يا ماما أنتِ مُتعبة.

قالت الأم وهي تغادر فراشها: على العكس، لقد أصبحتُ أحسن الآن، وأظنُّ أنني عندما أخرج سأتحسن كثيرًا ... سأذهب إلى «إلهام» وأرجو أن تتصلوا بي كلما جاءتكم أخبار جديدة.

ودون أن تنتظر كلمة أخرى غادرت الفراش، وسرعان ما كانت مُستعدَّة للخروج ثم ركبت السيارة وانطلقت ... وتركت المغامرين وهم يتبادلون النظرات، وكانوا في غاية الدهشة لكل ما حدث ... فهذه أول مرة يمرُّون فيها بموقف مثل هذا الموقف ... فقد أصبحت مسئوليتهم عن إعادة «محسن» مضاعفة بعد أن عرفوا ظروف والديه ... وعلاقة والدة «محب» الوثيقة بوالدته.

مضت ساعة ثقيلة ومشحونة بالتوتُّر ... ودقَّ جرس التليفون وكان المتحدِّث هو المفتش ... واستمع «تختخ» إليه ... كان صوتُه حزينًا ومُتعبًا وهو يقول: للأسف لم نجد أحدًا في الشقة ... لقد غادروها أمس ليلًا ... وسألنا عن الأستاذ «عبد الجليل حسن» فعرفنا أنه سافر إلى بيروت، لأنه عَلِم أن ولده فُقد، وبهذا تكون جميع الخيوط التي في أيدينا قد تقطَّعت وليس أمامنا إلا انتظار ما سيأتي من أحداث.

تختخ: ما هو عنوان الشقة يا سيادة المفتش؟

أملى المفتش العنوان على «تختخ» ثم سأله: هل تذهبون إلى هناك؟

تختخ: نعم هناك محاولة أخرى سيقوم بها «زنجر».

المفتش: لقد أغلقنا الشقة بالشمع الأحمر بعد أن رفعنا البصمات ... ولعلنا نستطيع عن طريق البصمات أن نصل إلى العصابة ... وهناك حارس على الباب.

تختخ: ألا نستطيع دخول الشقة بأية طريقة؟

المفتش: سأُرسل أحد الأُمناء إلى هناك الآن، ومعه تعليمات بفَتح الشقة لكم، الساعة الآن الرابعة ... فاذهبوا في الخامسة إذا شئتم، ولكن لا تتصرَّفوا أي تصرُّف إلا بعد أن تتَّصلُوا بي.

تختخ: طبعًا يا سيادة المُفتِّش.

ووضع السماعة ... وعَقد المغامرون جلسة عمل ... واتفقوا على أن تبقي «نوسة» و«لوزة» في منزل «محب» لتكونا مركز تجميع معلومات في حالة اتصال المفتش أو والدة «محب» وأن يتوجه الأولاد الثلاثة بعد الغَداء إلى الشقة ومعهم «زنجر».

وقال «تختخ» لـ «عاطف»: هل جاء «زنجر» معك؟

عاطف: لا ... لقد تركته في حديقة منزلكم.

تختخ: إذن سأحضره معي ... وسيكون لقاؤنا عند منزلي في الساعة الخامسة تمامًا وأسرع «تختخ» و«عاطف» يغادران المنزل.

عندما وصل «تختخ» إلى منزلهم كان أول ما فعله الاطمئنان على وجود «زنجر» ولكن لدهشته الشديدة لم يجد الكلب الأسود في الحديقة ... وظنَّ أنه ذهب إلى المطبخ بحثًا عن طعام ... فأسرع إلى هناك ولكن «زنجر» لم يكن موجودًا.

وأحسَّ «تختخ» بالضيق ثم سأل الشغالة: أين «زنجر»؟

ردت: لقد خرج يا أستاذ.

تختخ: خرج ... إلى أين؟

الشغالة: لا أدري يا أستاذ ... كان يأكل هنا منذ دقائق قليلة، ثم سمع صوت كلاب دخلت الحديقة فخرج إليهم، واشتبك معهم في معركة ... وقد خرجتُ على صوت العِراك ووجدته يطاردهم ... وعبثًا حاولت مناداته ليعود.

جلس «تختخ» للغدَاء، وهو مُلقٍ بسمعه إلى الحديقة ... وينتظر سماع صوت «زنجر» حين عودته ... ولكن الوقت مضى دون أن يظهر «زنجر».

أحس «تختخ» بالقلق بمُضي الوقت ... واتصل بمنزل «محب» ولكنه لم يعثر على «زنجر» هناك ولم يكن في استطاعته عمل شيء ... فأين ذهب هذا الكلب الشقي؟

مضت فترة طويلة ... وبدأ «تختخ» يحس بالقلق ... ربما أُصيب «زنجر» في حادث، ربما شاهده الرجل الذي هاجمه في الشقة فضربه ... ربما ... ربما ... هكذا أخذ «تختخ» يفكر حتى هبط الظلام ... والتليفونات لا تكُف عن الرنين بينه وبين الأصدقاء.

وأخيرًا سمع نباحًا خافتًا ... وأسرع إلى الحديقة ... كان «زنجر» راقدًا على بطنه يلعق مخالبه ... وكان على وجهِه وشعره آثار معركة طاحنة خاضها ... وأسرع «تختخ» إليه وقد تدافعت الكلمات الغاضبة من فمه ... وأدرك «زنجر» أن «تختخ» غاضبٌ جدًّا ... فوقف وأخذ يهز ذيله في أسًى.

صاح «تختخ» به: أين كنت يا «زنجر».

نبح «زنجر» في حُزنٍ فعاد «تختخ» يقول: هل تعلمتَ التشرُّد؟ … ألم أقل لك ألف مرة لا تبعد عن المنزل؟ ماذا حدث معك؟

وأخذ «تختخ» يفحص «زنجر» … وأدرك أنه جريح … وأسرع إلى المنزل وعاد بأدوات الإسعاف، وأخذ يُطهر له جروحه ويُضمدها وقد أحسَّ بضيقٍ شديدٍ … فقد كانوا في حاجة إلى جهود «زنجر» في هذا اليوم أكثر من أي يومٍ آخر …

اتصل «تختخ» تليفونيًّا بـ «محب» و«عاطف» وروى لهما ما حدث، وبعدَ حوار اتفقوا على أنه من الضروري أن يأخذوا «زنجر» معهم إلى الشقة … بعد أن يشمَّ بعض الأدلة ومنها المايوهات … وكيس النظَّارة … وعاد «تختخ» إلى «زنجر» وقال له: آسف جدًّا يا «زنجر» إنني أعرف أنك مُتعب ولكننا في أشد الحاجة إليك!

هزَّ الكلب ذيله … وأرسل نباحًا خفيفًا دليل الموافقة … وخرجا معًا وقابلا «محب» و«عاطف» ثم ركب الجميع تاكسيًا إلى «إمبابة».

ووصلوا وقد أشرفت الساعة على العاشرة ليلًا … كان شارع «السودان» هادئًا وقد أظلمت بعض أجزائه نتيجة انقطاع التيار الكهربائي عنها … وسُرعان ما عثروا على الفيلا.

كانت الفيلا تقع على الجانب الأيمن من الطريق حيث تقل المساكن … ولمح الأصدقاء شبح الحارس أمامهم، فتقدَّموا منه وقال «تختخ»: مساء الخير … هل وصلتك تعليمات من المفتش «سامي» … بخصوص زيارتنا.

رد الحارس: نعم تفضلوا … ولكن النور مقطوع.

تختخ: لا بأس … معنا بطاريات …!

ودخل الأصدقاء وأضاءوا بطارياتهم … وأخرج «تختخ» المايوهات وكيس النظارة وقدمها إلى «زنجر» وأخذ الكلب الذكي نفَسًا عميقًا ثم أخذ يطوف بالفيلا والأصدقاء الثلاثة خلفه … وبدا حائرًا قليلًا … ولكنه ذهب إلى باب خلفي يطلُّ على المزارع وأخذ ينبش بقدميه … وفتح «تختخ» الباب، واندفع «زنجر» جاريًا وهم خلفه …

كان الظلام كثيفًا في منطقة المزارع خلف الفيلا … حيث يمرُّ شريط سكة حديد وجه قبلي … واجتاز «زنجر» قُضبان السكك الحديدية ومضى يَنحدِر إلى الجانب الآخر والمغامرون خلفه … كان «زنجر» قطعة من الظلام، ولم يكن في إمكان المغامرين الثلاثة رؤيته، ولكنهم كانوا يتبعون نباحه الخفيف الذي كان يدلهم به على مكانه … وسُرعان ما غاصوا في زراعات الذرة الكثيفة … ومضى الوقت وهم يسيرون مسرعين في طرقات مُلتوية خلف «زنجر» الذي كان يتوقف أحيانًا ثم يرفع رأسه إلى فوق ويتنسم الهواء ويمضي …

وبعد نصف ساعة تقريبًا توقف «زنجر» وسمع الأصدقاء أصوات حديث بعيد تحمله الريح ... فعرفوا أن «زنجر» قد وصل إلى نهاية الرحلة ... تقدم «تختخ» وربت على ظهر الكلب الذكي ... ثم مشى قليلًا في حذر ... وشاهد كوخًا من الخشب وخوص النخيل، قد جلس أمامه ثلاثة أشخاص أوقدوا نارًا لعمل الشاي ... وانعكس ضوء النيران على وجوههم ...

وانضم «محب» و«عاطف» لـ «تختخ» الذي همس: أحد هؤلاء الرجال هو الذي هاجمه «زنجر» ... ولكن هل «محسن» معهم؟

محب: أستطيع أن أتقدم وحدي ... إننا في عكس اتجاه الريح ولن يسمعوا صوت أقدامي، وسأتمكن من النظر داخل الكوخ وأعود لكما ...

تختخ: كن حذِرًا يا «محب»!

محب: طبعًا!

وتقدَّم «محب» وحدَه وانحرف يسارًا بحيث يدور دورة واسعة داخل أعواد الذرة، ثم عاد وانحرف يمينًا في زاوية حادة فأصبح خلف الكوخ مباشرةً ... وانحنى يسير على يديه وقدميه حتى وصل إلى الكوخ، ومد يديه وأزاح الخوص جانبًا ونظر داخل الكوخ ... كان الظلام كثيفًا داخله ... ولكن بعد لحظات تعودت عينا «محب» الظلام واستطاع أن يُشاهد جسَدًا مكوَّمًا في جانب الكوخ ... عليه قميص أبيض ... وفكَّر «محب» قليلًا: هل يعود إلى «تختخ» و«عاطف» ليروي لهما ما حدث أو يتصرف ... وباندفاعه المعروف عنه قرَّر أن يُحاول إنقاذ الولد وحده ...

أخذ «محب» يوسِع الفتحة التي فتحها حتى أصبحت تتَّسع له ... وتلوى كالثُّعبان داخلًا فيها ... وزحف على يديه وركبتيه حتى أصبح بجوار الجسد الذي رآه. لم يكن يعرف شكل «محسن» ... ولكنه لم يشكَّ لحظة أنه هو ... كان موثق اليدين والقدمين ومُكمَّم الفم ... ومال «محب» على أذُنه وقال هامسًا: إنني صديقٌ وصلته رسالتك، لا تُحدِث أي صوت ... سأفكُّ وثاقَك!

وأخذ «محب» بأصابع مدرَّبة يفُك وثاق الولد ... حتى إذا انتهى من فك كل الأربطة سمع صوتًا وأرهف أذنيه ... كان صوت أقدام تتقدَّم من الكوخ ... وانسحب «محب» سريعًا وهو يقول: تظاهر بأنك ما زلت مقيدًا.

ربض «محب» ساكنًا خلف الكوخ يستمع ... ولكنَّ الأقدام اقتربت من الكوخ ثم ابتعدت ... وانتظر «محب» لحظات ثم عاد إلى داخل الكوخ ... وهمَس في أُذن «محسن»: تعالَ خلفي.

وتلوى مرةً أخرى خارجًا من الفتحة ... وأخذ «محسن» يحاول الخروج ... وجَذبه «محب» حتى أخرجه وقال له: هل تستطيع السير؟

ردَّ «محسن» لأول مرة قائلًا في صوتٍ واهنٍ: سأُحاول! قال «محب»: سأسندك!

ومشيا معًا ... و«محب» يسند «محسن» حتى وصلا إلى «تختخ» و«عاطف» اللذَين ألجمت الدهشة لسانيهما ... وأمسكا بذراعي «محسن» ولكنهم وصلوا إلى شريط السكة الحديد دون أن يحدث شيء ... وعبر الجميع شريط السكة الحديد. وبعد لحظات كانوا عند الفيلا ... وأسرع «تختخ» إلى الحارس وقال له: افتح فورًا ... نُريد الاتصال بالمفتش «سامي».

ودخل «تختخ» مسرعًا وطلب المفتِّش «سامي» وسُرعان ما كان المفتش يرد عليه قائلًا: لقد اتضح أن بعض البصمات لُمجرم هارب من السجن ... ونحن نبحث عنه في كل مكان ... وقد عثرنا ...

ولكن قبل أن يتم المفتش جملته قال «تختخ»: لقد عثرنا على الولد المخطوف!

لم يرد المفتش للحظة ثم قال مندهشًا: عثرتم عليه؟ كيف؟ أين؟

تختخ: إنه معنا الآن في الفيلا التي كانت بها العصابة ... وسنَذهب به إلى والدته فهو وهي في حالة يُرثى لها.

المفتش: سنَصل فورًا ... هل عرفتم مكان العصابة؟

تختخ: لم نعرفها كلها ... ولكن بعض أفراد منها هنا في كوخ خلف زراعة للذرة بعد شريط السكة الحديد ... وسينتظركم «عاطف» ليدلَّكم على المكان ... وسأذهب مع «محب» إلى منزل «محسن» ونعود لكم.

وخرج «تختخ» مسرعًا وطلب من «عاطف» و«زنجر» انتظار المفتِّش، ثم استقل هو و«محسن» و«محب» تاكسيًا إلى مدينة الإعلام القريبة.

عندما دقَّ «تختخ» جرس الشقة سمع صوت بُكاء يقترب من الباب ... ثم ظهرت سيدة جميلة قد احمرَّت عيناها وهي تمسح دموعها المتساقطة ... ثم ظهرت والدة «محب» خلفها وقال «تختخ» مبتسمًا: هل تُريدان «محسن»؟

نظرت إليه السيدتان في دهشةٍ وضيقٍ، فانحرف عن الباب ... وخلفه ظهر «محسن» ... يسنده «محب» وصاحت السيدة: «محسن» ... ابني ... ابني!

واندفع «محسن» إلى أحضان والدته ... وقالت والدة «محب» وقد بدت في غاية الدهشة والفرح: كيف! أين؟!

لم تكن تستطيع الكلام ... وابتسم «محب» قائلًا: أما كيف فهذه قصة طويلة وأما أين ... ففي مكان قريب جدًّا من هنا.

لم تتمالك السيدة دموع الفرح وهي تتساقط من عينيها ... وقال «محب»: ألَّا تعودين إلى البيت؟! إنكِ ما زلتِ مريضة!

ردَّت «الأم»: إنني الآن في أتمِّ صحة بعد أن عاد «محسن» إلى والدته.

التفت «تختخ» إلى «محب» قائلًا: ابقَ أنت مع والدتك ... وسأذهب أنا لاستكمال المُهمة!

قالت «الأم»: لا تذهب وحدك ... خذه معك.

وفي هذه اللحظة ظهرت والدة «محسن» تقول: يا لَكُما من ولدين ... ادخلا فورًا!

قال «تختخ» مُبتسمًا: ليس الآن ... سنأتي غدًا فما زالت أمامنا بقية المُهمة!

ووقفت السيدتان ترمقان المغامرَين الصغيرَين وهما ينزلان السلالم مسرعين لاستكمال لُغز الزجاجة الصفراء.


هنداوي